

مظاهر البذخ والترف
عند الخلفاء والأمراء في العصر العباسي
656 - 132 هـ

د. يوسف كاظم جفيل الشمري
م. محمد عبد الله المعموري
أسيل محمد ناجي
جامعة بابل / كلية التربية

المقدمة

كانت الدولة الإسلامية في زمن الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) تمتاز بالبساطة في جميع نواحي الحياة العامة، حيث ان نبي الرحمة كان هدفه هو نشر الدين الإسلامي الحنيف ومبادئه، فلم يكن ملبسه ومأكله وبيته الذي يسكن فيه إلا كمجلس أو مأكلاً أو مسكن باقي المسلمين، وهذه كانت حال الخلفاء الراشدين، فلم يكن أحداً منهم يهتم لهذه الأمور، ولم يكونوا يهتمون ببناء القصور الفخمة أو لبس الملابس الفاخرة، ولم يسعوا في يوم من الأيام إلى جمع الأموال، فكانت البساطة في كل جانب من جوانب حياتهم وكانوا كسائر المسلمين، ولم يختلفوا عنهم في شيء، فالإمام علي (عليه السلام) لم يكن لديه سوى ثوب واحد فإذا غسله بقي ينتظر إلى أن يجف ليرتديه ويخرج به؛ لأنه كان زاهداً في هذه الدنيا، وكان هدفه مرضاة الله تعالى، وتعليم الناس مبادئ الدين الحنيف، فكان المثل الأعلى للزهد والتقوى والابتعاد عن مظاهر الدنيا بعد النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). أما في زمن الخلفاء الأمويين فإن الحال اختلفت إذ امتاز عصرهم بمظاهر الترف والبذخ من حيث بناء القصور وارتداء الملابس الفاخرة واقتناء الجواهر الثمينة، والاهتمام بأنواع الأطعمة وكان ذلك بسبب توسع حدود الدولة العربية الإسلامية، ونتيجة للاختلاط الذي حصل ما بين العرب وغيرهم من الأمم الأخرى وخصوصاً البيزنطيين والفرس، وما امتاز به هؤلاء من مظاهر الترف والأبهة تم تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخلاصة، عنوان الفصل الأول: (المظاهر العامة) عالجتنا به مواضيع عديدة كان اولها القصور مبيينين ولع الخلفاء والامراء العباسيين ببناء القصور وزخرفتها وتعدد أدوارها، مع محاولة الخلفاء والأمراء بناء قصورهم باكثر من مكان في الدولة العربية الإسلامية، معرجين على المفروشات التي غطت بلاطات تلك القصور، كما تناولنا فيه الملابس التي لبست من قبلهم وتنوع ألوانها وأشكالها، وكان للثلاث الذي زينت به تلك القصور المساحة الواضحة في الفصل، وتمت معالجة موضوع تنوع وتعدد الأطعمة في قصورهم وتكاليفها والنفقات التي كانت تنفق عليها. اما الفصل الثاني فقد وسمناه بعنوان: (رسوم مجالس الخلفاء)، وقسم الفصل الى عدة فقرات منها الحجابة وأسباب استحداثها ووضيفة الحاجب والدور الذي يؤديه والمواصفات التي يجب توافرها عنده، ووضحنا الطريقة التي تكون فيها مقابلة الخلفاء والامراء العباسيين، والآداب التي يجب توافرها عند الشخص الذي يقابلهم، كما تناولنا فيه مواكب الخلفاء، والأبهة التي تطغي عليها، وأوقات خروجها.

اما الفصل الثالث فقد ثبتناه بعنوان: (وسائل التسلية والاعياد الدينية والاجتماعية)، عالجتنا فيه مجالس الطرب التي اشتركوا فيها وشجعوها، واغداقهم بالاموال علي المغنين وتقريبهم اليهم، كما تناولنا فيه حبههم لتربية الخيول والاهتمام بالاصيل منها والاعتناء بانسابها، حتى ألفت المؤلفات بهذا المجال، وتم توضيح آلية اللعب بالكرة والصولجان واماكن وطريقة وضوابط اللعب، وكان للصيد نصيبه ايضاً في هذا الفصل وطرق الصيد بالطيور والسباع وملاحقة الطرائد والاستمتاع بذلك، وتناولنا فيه الأعياد والاحتفال بها سواء أكانت اعياداً اسلامية كالفطر والأضحى او غير اسلامية كالنوروز والمهرجان وغيرها من الأعياد الأخرى ومناسبات الفرح والسرور الاجتماعية كالزواج والختان والعطلة الأسبوعية.

افادت البحث مجموعة من المصادر لعل أهمها وأكثرها فائدة كتاب الاغاني لأبي الفرج الاصبهاني، وكتاب صبح الاعشى للقلقشندي وكتاب العقد الفريد لأبن عبد ربه الاندلسي، كما تم الاعتماد على عددٍ من المراجع الحديثة مثل: الحضارة الإسلامية لأدم مترز، وتاريخ الإسلام السياسي والثقافي والديني لحسن ابراهيم حسن، وغيرها.

الفصل الأول: المظاهر العامة

كانت البيوت في عهد النبي والخلفاء الراشدين بسيطة ومبنية بالحجارة، وهي لا تختلف عن بيوت عامة الناس أما في الدولة الأموية فقد زينت القصور والمساجد والمدن التي شيّدت بزخارف متعددة في تيجان الأعمدة والمحاريب والجدران.

اتخذ الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) والخلفاء الراشدون من بعده المسجد مركزاً إدارياً وسياسياً واقتصادياً، لإدارة شؤون الدولة العربية الإسلامية، وكانت بيوتهم مجالس لاستقبال الرعية، ولم يقدوا ملوك الروم والفرس في مجالسهم وأبهتهم، لأن همهم الأول كان مرضاة الله سبحانه وتعالى، ونشر الدين الحنيف في كل

أرجاء المعمورة؛ لذلك فإن الفرش المستخدمة بسيطة جداً وفي عصر الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) والراشدين كانت الارض تفرش بالحُصُر، أو قطعة من جلد الحيوانات⁽¹⁾ بل ان الرسول (صلى الله عليه وآله) كان يجلس على الأرض ويجالس الفقراء والمساكين، وكان الناس يدخلون على الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) والخلفاء الراشدين من دون حجاب، وفي أي وقت يشاؤون، وكانت حياة الجزيرة قبل الإسلام تمتاز بالبساطة وعدم التكلف بسبب الظروف الطبيعية الصعبة ولهذا نجد طعام سكانها بسيط لا يعدو الزبد والتمر واللبن واللحم، وفي صدر الإسلام استمرت هذه البساطة إذ كان الطعام المفضل لرسول الله (صلى الله عليه وآله) هو الثريد⁽²⁾ وهو دليل البساطة وعدم التعقيد، ويظهر ان الطعام قد تطور وتعددت ألوانه في الفترات اللاحقة ومما يشير إلى ذلك الخليفة عمر فيما روى عنه انه دعي الى عرس فرأى قِدرًا أصفر واحمر وواحدة مرة وأخرى حلوة وواحدة محمصة نخلتها كلها في قدر عظيم وقال: ((ان العرب إذا أكلت هذا قتلت بعضها بعضاً))⁽³⁾، وحيثما ندبر هذه الرواية التي تنسب الى الخليفة عمر نعتقد إن دلالتها تشير إلى أن الخليفة استغرب تنوع الطعام.

إلا أن الأمر قد تغير في العصر الأموي، بعد انتقال الخلافة إلى بني أمية واتخاذهم دمشق المدينة الحضرية القديمة عاصمة لهم⁽⁴⁾ وبعد اتساع مساحة الدولة بفتح الأمصار والأقاليم في حروب الفتح والتحرير الإسلامية، واستقرار الأمر لمعاوية بن أبي سفيان⁽⁵⁾، وبمرور الوقت نتيجة لتطور المجتمع في حياته العامة، فضلاً عن انفتاحه على مجتمعات جديدة إذ امتدت الدولة العربية من الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً، اثر ذلك في انتقال العادات والتقاليد بين الشعوب والأمم التي ضمتها دولة العرب المسلمين وصاحب ذلك استقرار العرب في هذه المساحة الواسعة، وتساوهم مع تلك الشعوب وتمتع الدولة بالواردات المالية الواسعة مما انعكس على حالة الرفاه في المجتمع وكان الطعام من الوسائل الأساسية لهذا الرفاه فتتوعدت وتعددت ألوانه وأصنافه وطريقة طهيهِ وإعداده.

1- القصور:

تميز المجتمع العربي الإسلامي في العصر العباسي بنضج طبقاته الاجتماعية والفئات المكونة لها، وخاصة طبقة الخلفاء والأمراء والوزراء والقادة وغيرهم، إذ ان هذه الطبقة وبعد تجمع الثروة لديهم غرقوا في إشباع ملذاتهم وغرقوا بمظاهر البذخ والترف، فاهتموا ببناء القصور العظيمة وتأثيثها بالرياش الفاخر حتى أصبحت القصور هي السمة البارزة التي اتسمت بها تلك الطبقة آنذاك حتى غدت قصور الخلفاء والأمراء العباسيين في بغداد مصدر إيماء لنسج الكثير من القصص الممزوجة بين الحقيقة والخيال، إذ خصصت أموال خيالية لتشبيد تلك القصور وتزيينها⁽⁶⁾، إذ ان تكاليف المنشآت في عهد المنصور بلغت أربعة عشر ألف دينار وثلاثة وثمانين ألف درهم، وقد عرف الرشيد بميله الى الترف والبذخ، فأخذ عن الفرس بعض مظاهر حياتهم وشيد القصور وعنى بتزيينها وزخرفتها وجلب إليها أحسن الفرش، وكان للبرامكة تأثير كبير على اهتمامه بمثل تلك الحياة المترفة، وحذا كل من الامين والمأمون حذو من سبقهم من الخلفاء، فاهتم المأمون بإصلاح القصر الحسني وهو قصر الحسن بن سهل، وعندما اصبحت سامراء حاضرة للخلافة العباسية بعد ان أنشأها الخليفة المعتصم سنة 222هـ، كثر فيها بناء القصور والدور كما حملت إليها الغروس من الشام والجلبل والري⁽⁷⁾، وبني دار الخلافة على ارض الدير الذي اشتراه المعتصم حين شرع في بناء هذه المدينة⁽⁸⁾، وبني الخليفة الواثق بسامراء قصر الهاروني الذي اشتهر بسعة أروقته وكان وسط هذه الأروقة رواق كبير فيه قبة مرتفعة⁽⁹⁾ وقد بلغت سامراء ذروة العمران في عهد المتوكل والذي عرف بشغفه ببناء القصور، إذ بلغ عدد القصور التي شيدها تسعة عشر قصرًا⁽¹⁰⁾.

وبلغ مجموع ما انفق على بنائها، أربعة وتسعين الف درهم⁽¹¹⁾، ومن أشهر قصوره، قصر العروس، والبديع، والغريب، والبرج⁽¹⁾، وازاد إليها المختر والجعفري والجوسق والقلائد واللؤلؤة وغيرها، وانشأ

(1) البعقوبي، تاريخ البعقوبي، 2/ 152 - 153؛ وهيب، الحياة الاجتماعية في دمشق، 76.

(2) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 2/ 293، 4/ 8.

(3) ابن قتيبة، عيون الاخبار، 1/ 16.

(4) علي، مختصر تاريخ العرب، 185.

(5) الفلقشندي، صبح الاعشى، 3/ 267؛ مآثر الانافة، 3/ 255.

(6) عاشور، دراسات في تاريخ الحضارة العربية، 262.

(7) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 1/ 73-74، 99.

(8) البعقوبي، البلدان، 28-32.

(9) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 7/ 319.

(10) المصدر نفسه.

(11) الحموي، معجم البلدان، 5/ 15-16.

المتوكل الترع والقنوات لتوصيل المياه الى قصوره وبساتينه وحدائقه⁽²⁾ وقد امر ببناء الماخورة وسماها الجعفرية وانفق عليها اكثر من الف دينار، وكان يسميها هو واصحابه بـ: (المتوكلية) وانتقل اليها في اول يوم محرم من سنة 240هـ⁽³⁾، واقام بهذه المناسبة احتفالاً كبيراً واجاز فيه الناس بالجوائز السنوية⁽⁴⁾، وزين المتوكل كل قصوره بانواع الجواهر والاحجار الكريمة والذهب والفضة والفسيفساء والرخام وفرشت بالبسط الفاخرة وبالستائر الموشاة بالديباج⁽⁵⁾، وقد ظلت سامراء تسير في طريق الحضارة حتى تركها المعتضد وانتقل الى بغداد واتخذ من بغداد (الرصافة) مقراً له فنقل العمران الى هذه المدينة⁽⁶⁾ وعنى بتجديد بعض مبانيها، وتشيد القصور الفخمة بها فنزل بالقصر الحسني الذي عرف بـ: دار الخلافة واطرافه من الارض واحاطه بسور⁽⁷⁾، وكذلك وضع المعتضد اساس قصر التاج في الجانب الشرقي من بغداد⁽⁸⁾، لكنه مالبت ان عدل عن اتمام بنائه واتمه ابنه الخليفة المكتفي من بعده⁽⁹⁾، وبنى المعتضد كذلك قصر الثريا المعروف وانفق عليه اموالاً كثيرة واوصله بقصر الحسني، عن طريق نفق تحت الارض⁽¹⁰⁾ ويتجلى لنا ترف الخلفاء العباسيين في وصف دار الشجرة وهي احدى قصور المعتضد⁽¹¹⁾، وعندما جاء رسول من الروم الى دار الخلافة ادخل الى دار الشجرة وقصور اخر ورأها فاكثرت تعجبه منها حتى وصفت بانها: ((... كانت شجرة من الفضة وزنها خمسمائة ألف درهم عليها أطيار مصوغة من الفضة تصفر بحركات قد جعلت لها فكان تعجب الرسول من ذلك أكثر من تعجبه من جميع ما شاهده... ودار الشجرة وفيها شجرة في وسط بركة كبيرة مدورة فيها ماء صاف وللشجرة ثمانية عشر غصنا لكل غصن منها شاخات كثيرة عليها الطيور والعصافير من كل نوع مذهبة ومفضضة وأكثر قضبان الشجرة فضة وبعضها مذهب وهي تتمايل في أوقات ولها ورق مختلف الالوان يتحرك كما تحرك الريح ورق الشجر وكل من هذه الطيور بصفر ويهدر...))⁽¹²⁾، اما قصور المعتضد فقد وصفت بوصف فيه نوع من المبالغة فقيل فيها: ((وكان عدد ما علق في قصور أمير المؤمنين المقتدر بالله من الستور الديباج المذهبة بالطرز المذهبة الجلييلة المصورة بالجامات والفيلة والخيل والجمال والسباع والطرود والستور الكبار البضغائية والارمنية والواسطية والبهنسية السواذج والمنقوشة والديبكية المطرزة ثمانية وثلاثين ألف ستر منها الستور الديباج المذهبة المقدم وصفها اثنا عشر ألفاً وخمسمائة ستر وعدد البسط والنخاخ الجهرمية والدار ابرجدية والدورقية في الممرات والصحون التي وطئ عليها القواد ورسل صاحب الروم من حد باب العامة الجديد إلى حضرة المقتدر بالله سوى ما في المقاصير والمجالس...))⁽¹³⁾، وكان للخليفة المقتدر حوالي احد عشر الف مملوك من الصقالبة والروم والسودان وعدد كبير من الغلمان الحجرية، كما اشتملت دار الخلافة في عهد المكتفي على عشرين الف غلام دارية وعشرة آلاف من السودان والصقالبة⁽¹⁴⁾، ومن خلال ما تقدم من وصف لهذه القصور يمكن ان نستنتج مدى حياة البذخ والترف التي عاشها خلفاء بني العباس.

بنى الخلفاء وارباب الدولة والطبقة الغنية الحمامات في القصور والدور، بعد كانوا يلجأون للحمامات العامة الموجودة في بغداد وغيرها من المدن الاخرى، وكان طراز بناء الحمامات يتناسب مع المستوى المعاشي الذي يعيشه كل واحد منهم، وزودت تلك الحمامات بفتحات تهوية لتغيير الجو، وعمل لها مجاري تحت الارض⁽¹⁵⁾، ومن الملاحظ ان عدد الحمامات العامة في القرن الثالث الهجري في الجانب الشرقي من بغداد بلغ 5000 حماماً، اما في النصف الاول من القرن الرابع الهجري فقد بلغ تعدادها بجانب بغداد الشرقي والغربي 10000 حماماً⁽¹⁶⁾، الا

(1) البغدادي، تاريخ، 492/2.

(2) الحموي، معجم البلدان، 15/5.

(3) البغدادي، البلدان، 33.

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 382/7.

(5) عاشور، دراسات في تاريخ الحضارة العربية، 163.

(6) سرور، تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق، 176.

(7) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 99/1.

(8) الحموي، معجم البلدان، 350-348/5.

(9) المصدر نفسه، 808/1.

(10) المصدر نفسه.

(11) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 104-102/1.

(12) المصدر نفسه، 120-117/1.

(13) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 118-117/1.

(14) الصابي، رسوم دار الخلافة، 80.

(15) متز، الحضارة الاسلامية، 204/2.

(16) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 76/2.

ان اعدادها بدأت بالتراجع والنقصان ففي النصف الثاني من القرن الرابع الهجري نقص عددها النصف فاصبح عددها 5000 حماماً فقط، واستمر العدد بالنقصان حتى وصل في القرن السادس الهجري 2000 حماماً فقط⁽¹⁾، ربما يعود سبب نقصان اعداد الحمامات الى ان الطبقة العامة بدأت تقلد طبقات الخلفاء والامراء ببناء حمامات بالبيوت والاكتفاء بها دون الاقبال الى الحمامات العامة كما كان معتاداً الامر الذي اثر على تناقص اعداد الحمامات، لوجود بدائل في المنازل اغنت الناس عن التوجه بكثرة للحمامات العامة كما كان معتاداً .

كما احتوت تلك القصور والدور على سراديب تحت الارض للسكن فيها وقت الصيف، مهياً بوسائل تهوية، للاستعانة بها من الحر الشديد في موسم الصيف⁽²⁾، وغالباً ما قلد العامة في بغداد الاغنياء، فبنوا السراديب تحت الارض ببيوتهم، واستعاض الاغنياء والميسورين ببغداد عن السرداب بما اطلق عليه اسم: (بيت الخيش)، أي وضع الخيش (قماش من خيوط الكتان الغليضة)⁽³⁾ المبلل بالماء والموضوع على قبة، او يوضع بجوار الشبائيك ليصبح الهواء المار من خلالها بارداً⁽⁴⁾، وربما تنصب قنوات او انابيب مياه تصنع خصيصاً لهذا الغرض لتعمل باستمرار على بلل الخيش حتى يعتدل الهواء، وهذه الطريقة كانت شائعة عند الاغنياء ببغداد⁽⁵⁾، وحصل تطور بحسب القدرة الابداعية الى استحداث آليّة اخرى اول من استعملها الخلفاء وارباب الدولة، لتمكنهم من دفع المبالغ الباهضة لتحقيق راحتهم وهو استعمال مروحة تشبه الشراع المستخدم في السفينة، تعلق بسقف البيت ويشد فيها حبل يديرها، وهي تبيل بالماء وترش بماء الورد لتعطير الهواء بعطر الورد، فاذا اراد الشخص النوم جذب حبلها فتذهب بطول البيت وتجيء ويهب منها نسيم بارد طيب معطر بعطر الورد⁽⁶⁾، وقد بلغ عادة عدد الغرف بقصور الخلفاء وارباب الدولة 60 غرفة، مزودة بالواح من الزجاج المتنوع الالوان، يتراوح عرض اللوح بين العشرين والخمسين سم⁽⁷⁾، الا انه عند دخول البويهيين (334 - 447هـ)، الى بغداد وسيطرتهم عليها انتقلت الثروة اليهم وخصصوا للخلفاء مرتبات وتصرفوا بميزانية الدولة؛ فالمستكفي مثلاً خصص له راتب شهري، لا يتجاوز الخمسة الاف دينار، وهكذا الحال مع الطائع والمطيع، فلم تشيّد قصور للخلفاء في تلك الفترة سوى بناء قصور الامراء من بني بويه⁽⁸⁾.

2 - المأكولات

اهتم الخلفاء والامراء باعداد الموائد الفاخرة، التي تتنوع فيها الاطعمة والاشربة، فقد كان ابو جعفر المنصور يكثر من تناول الطعام حد الاضرار بصحته، وكان الطهاة يطهون لهارون ثلاثين لونا من الطعام يومياً في كل وجبة، وكان ينفق على وجباته اليومية 10000 درهم، وعندما زار الرشيد واليه على الرقة ابراهيم بن المهدي، قدم له وعاء فيه السنة السمك تزيد على مئة وخمسين لساناً، فاستحلف هارون ابراهيم عن مبلغ السمك فقال له انه باكثر من الف درهم، فامتنع هارون عن تناول ذلك الطعام حتى امر بالتصدق بالف درهم على الفقراء وقال لابراهيم: ((ارجو ان يكون كفارة لسرفك في انفاقك على جام سمك الف درهم))⁽⁹⁾.

وذكر ان الامين كان اכולاً يحب الاكل الكثير والمتنوع الالوان، اما المامون فانه بلغت نفقته على الطعام في اليوم الواحد ستة آلاف دينار، وفي ايام المقتدر الذي توسع بالانفاق على الطعام الى الحد الذي اضر بميزانية الخلافة من شدة الترف والبذخ والاسراف للاموال الطائلة بهذا المجال⁽¹⁰⁾.

كان للموائد آداب تتعلق بما يجب ان يتم قبل الاكل، وما يجب عمله على المائدة او ما يجب تحاشيه لعدم استحبابه من قبل الطرفين (الداعي والمدعو)، واهتم بتزيين المائدة بالورد والازهار وهو من الامور المعتاد عليها تلك الايام، وقبل تناول الطعام يبدأ المدعوون بغسل الايدي، وتقدم المقبلات والمشهيات قبل الوجبة الرئيسية، ثم تقدم الفواكه بوعاء كبير يوضع وسط المائدة، ولكل شخص يوضع بين يديه طبقاً فيه سكيناً ويأخذ من الأنية الكبيرة التي تحوي اصناف عديدة من الفواكه المناسبة الموجودة بحسب الموسم، وتقديم الفواكه والمشهيات كانت تسمى بـ: (النُّقْلُ)، وكان المعتاد عدم الاكثار من الاكل في هذه المرحلة، ثم يرفع الموجود من النقل، ويأتي بالمائدة مغطاة بملاءة يكشف عنها ويبادر صاحب المائدة بتناول الطعام قبل الضيوف رفعا للاحراج، ثم يبدأ المدعوين

(1) المقرئزي، الخطط المقرئزية، 1/ 28.

(2) المصدر نفسه، 1/ 28.

(3) ابن منظور، لسان العرب، 6/ 301؛ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، 2/ 273.

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 3/ 418؛ الحموي، معجم الادباء، 6/ 99.

(5) المقدسي، احسن التقاسيم، 449.

(6) الغزولي، مطالع البدور، 1/ 65.

(7) متر، الحضارة الاسلامية، 2/ 204.

(8) ابن كثير، البداية والنهاية، 11/ 212.

(9) المسعودي، مروج الذهب، 3/ 309، 355.

(10) ابن الجوزي، المنتظم، 6/ 68 - 69.

بالاكل، ومن بعد ذلك يؤتى بالحلوى ليتزود منها الضيوف، وبعدها غسل الايدي، وان كان في المأدبة خلفاء فمن الآداب عدم غسل الايدي امام الخلفاء بل ينتظر كل الموجودين ان يغسل الخليفة يديه ويرجع الى المجلس المخصص له - والذي ربما يتغير مكان الجلوس بعد الطعام - ثم بعد ذلك يبدأ الباقيين بغسل الايدي بحسب المكانة والتقدير والاحترام فيما بينهم⁽¹⁾.

هذه القواعد اوجدها زرياب واطلق عليها اسم: آداب المائدة، ومن الجدير بالذكر ان نذكر آداب المائدة التي كانت سائدة قبل زرياب ليتسنى للقارئ معرفة التغيير الذي أحدث بفعل زرياب، اذ كانت المائدة التي تحدثنا عن دفعاتها المتلاحقة تقدم دفعة واحدة، وياكل كل الموجودين في صحن كبير واحد، الا ان عدم الاهتمام بالنظافة من قبل بعض المدعوين ادى الى عدم الارتياح للاكل معهم في طبق واحد، الامر الذي ادى الى الفصل بين الصحن، ولكل واحد صحنه التي ياكل بها تلافياً للاحراج الحاصل في الدعوات وصعوبة توجيه الانتقاد للحضور فعمل بالنظام الذي اوجده زرياب⁽²⁾.

اهتم الخلفاء وارباب الدولة اهتماما كبيرا بالمطبخ ولواحقه، وهذا الاهتمام المتزايد بالمائدة والتفنن بالطبخ ادى الى ظهور عدد من المصنفات بهذا المجال، اذ ان المهتمين بهذا الفن ارادوا ايجاد انواع خاصة من الاكلات بمقادير معينة وخطوات ثابتة يمكن للطاهي الاعتماد عليها ليكون مطبخه ناجحاً، كما وضعت ضوابط وآداب للمنادمة، ومن هذه المصنفات: (أدب النديم)، لكشاجم الشاعر تطرق فيه الى اصول الاكل على الموائد، وكتاب: (الموشى)، الذي جاءت فيه نصائح كثيرة للاكلين، تتعلق بتصغير اللقمة، وعدم تحسي المرق، وعدم الاكثار من البقل والبصل لروائحها الغير مرغوب فيها، وعدم لطع الاصابع، وغيرها من النصائح التي ثبتت بذلك الكتاب⁽³⁾.

وكان من جملة شروط المطبخ عند الخلفاء والامراء والميسورين من ارباب الدولة، هو وجود شخص يسمى: (الشرابي) واجبه الاهتمام بالشراب وتطبيبه والتفنن به، وظهرت هذه الوظيفة في العصر العباسي⁽⁴⁾، وكانت نفقات مطابخ الخلفاء كبيرة اذ كانت تتراوح ايام المهدي والمامون والمعتضد بين 6000 و 10000 دينار يوميا، في حين بلغت نفقات مطبخ المتوكل العباسي 200000 دينار يوميا وهو رقم كبير جدا يدل على المدى الذي وصل اليه اصحاب الطبقة الخاصة من الخلفاء والامراء من البذخ والترف⁽⁵⁾، وكان للوزير علي بن الفرات مطبخان، واحد منهما للخاصة والآخر للعامة، وكان يطبخ في مطبخ العامة بكل يوم 90 رأساً من الغنم و 30 جدياً ومائتا دجاجة سميحة، وفراريج مصدرة ومئتا دراجة، وفيه خبازون يخبزون على ليل نهار مقسمين انفسهم على وجبات عمل متعددة، وفيه صنعة ماهرون لتحضير الحلوى وتجهيزها⁽⁶⁾.

كانت المآدب ايام العباسيين لها ترتيب معين تطور شيئاً فشيئاً بمرور الزمن، وشمل التطور حتى اسلوب الدعوة للطعام والمآدب، اذ تقننوا بصياغة كتابة الدعوة الرسمية للمآدب، وسجع عباراتها وبلاغتها، حتى ذكر ان احد ارباب الدولة في العصر العباسي كتب دعوة لاحد اصدقائه يدعوه لحضور مأدبة طعام له فقال فيها: ((نحن ياسيدي في مجلس غنى الآ عنك، شاكر الآ منك، قد تفتحت فيه عيون النرجس، وتوردت فيه خدود البنفسج، وقامت مجامر الاترج، ونفقت سوق الانس، وقام منادي الطرب، وطلقت كواكب الندماء ... فبحياتي لمّا حضرت، لنحصل بك في جنة الخلد))⁽⁷⁾.

اما بالنسبة الى المآدب العامة فانها كثيرة نعطي مثالا لها نستطيع من خلاله رسم صورة واضحة عن مدى الاسراف والبذخ والترف عند خلفاء وامراء العصر العباسي، ففي ايام ابي جعفر المنصور الذي زار عمه عيسى بن علي الى بلاد الشام كان برفقته اربعة آلاف من جنده، وصف الحموي⁽⁸⁾ تلك الزيارة بالقول قدّم عيسى بن علي لكل جندي: ((زنبيلاً فيه خبز وربع جدي ودجاجة وفرخان وبيض ولحم بارد وحلاوي))، أي انه قدم 1000 جدي 4000 دجاجة و 8000 فرخ غير الأصناف الأخرى.

3 - شرب الخمر.

نهى الدين الاسلامي الحنيف عن تناول الخمر والمسكرات بكل انواعها، الا اننا بالرغم من النهي الصريح عن ارتكاب هذه المحارم نجد ان هناك مخالفة صريحة لتعاليم الدين الحنيف، وحدثت هذه المخالفات في العصور العباسية والعصور الاسلامية السابقة لها واللاحقة، وقد ارتكبتها الخاصة والعامة على حدٍ سواء، وبالرغم من ان

(1) ابن الجوزي، المنتظم، 98/5.

(2) متر، الحضارة الإسلامية، 237/2 - 238.

(3) المرجع نفسه، 241/2.

(4) الصابي، الوزراء، 262.

(5) شحادة، فن الطبخ، 108 - 110.

(6) الصابي، الوزراء، 216، 262.

(7) الثعالبي، يتيمة الدهر، 81/3.

(8) معجم البلدان، مادة قصر عيسى، 361/4.

صانعي وبائعي هذه الخمر من اليهود والنصارى الا ان الكثير من المسلمين وبالذات اهل الغنى واليسر وطبقات الخلفاء والامراء وارباب الدولة هم المستهلكين له⁽¹⁾.

وذكر المقدسي⁽²⁾ ان المشايخ من رجال الدين في مصر لا يتورعون عن شرب الخمر، حتى ترى في الطرقات كثير من رجال الدين سكارى، بالرغم من محاولة الشرطة تحجيم ذلك ولكن دون جدوى، وفي اواخر العهد الفاطمي كانت الدولة تكتفي باغلاق قاعات الخمارين في القاهرة ومنع بيع الخمر في آخر جمادى الآخرة من كل سنة⁽³⁾.

اما في مراكش، وهي مدينة تشتهر بكثرة الاعناب، فان النساء فيها كنّ مولعات بالافراط بالشرب، وقيل ان هناك في اول موسم جني العنب يكون الكثير من رجال ونساء مراكش سكارى⁽⁴⁾، وقد ذكر الازهري اللغوي المعروف انه ذهب الى ابن دريد البصري (ت: 321هـ) اللغوي المشهور وكان عمره قد تجاوز التسعين، فوجده سكران، فلم يعد اليه ابداء، وكان زواره يدخلون اليه فيستحيون مما يرونه من العيدان المعلقة (عيدان الموسيقى)، ومن سكره، وهو في تلك السن الكبيرة⁽⁵⁾، وكان معظم رجال البلاط العباسي على الاعم الاغلب يتعاطون الخمر مع نسائهم وجواريتهم، مع وجود حالات امتنع فيها عدد من ارباب الدولة عن شرب الخمر، الا انهم استثنوا بعد ذلك وشربوه مثل: الخليفة القاهر في سنة 321هـ امر بتحريم الغناء والخمر، وكان هو مع ذلك يتعاطى الخمر، ولا يكاد يصحو من السكر⁽⁶⁾، وفي ايام الخليفة الراضي الذي جاء بعد القاهر، كان احد اسياة الدولة قد اعطى عهداً على نفسه بان لا يشرب الخمر ابدأ، واستمر على ذلك سنتين لا يشرب الا انه تحت ضغوط من جلساءه وندمائهم، الذين يتعاطون الخمر امامه اقتنع بالشرب، فكتب رقعة عن يمينه الذي حلف به الى الفقهاء الذين اوجدوا - بحسب الرواية - له عذرا ورخصة بالشرب، فاعطى لاستاذه ونديمه الصولي الف دينار يتصدق بها عنه، وبدأ يشرب الخمر⁽⁷⁾، اما في ايام الخليفة المستكفي فقد كان احد الحكام يتعاطى النبيذ ويشربه وعندما آلت اليه الخلافة تركه مدّة يسيرة ثم عاد الى شربه وبعدها شرب الخمر⁽⁸⁾، وفي قصور الخلفاء وبيوت الامراء والاعنياء بالاضافة الى صاحب المطبخ موصف يسمى الشرابي، واجبه العناية بالشراب واوانيه وجودته، والفاكهة والروائح (المزّة) وكان يحاسب حسابا عسيرا في حال تقصيره باداء واجبه⁽⁹⁾.

ومن الملفت للنظر ان الشراب أصبح عادة متعارفا عليها يُعاب على أي مسؤول في الدولة لا يشرب الخمر ويعتبر خللا واضحا يُنقَص من خلاله، ووصل الأمر الى نوي المناصب الدينية ايضا مثل القضاة، اذ ذكر الثعالبي⁽¹⁰⁾ نسا اشار به الى مجموعة من القضاة وارباب الدولة يتعاطون الخمر فقال: ((كان جماعة من الكبراء ينادمون الوزير المهلبى، ويجتمعون عنده في الاسبوع ليلتين، على اطراح الحشمة والتبسط والقصف والخلاعة، فهم ثلاثة قضاة ما منهم الا ابيض اللحية طويلها، فاذا تكامل الانس، وطاب المجلس... واخذ الطرب منهم مأخذه، وضع في يد كل منهم كأس من ذهب، وزنه الف مثقال، مملوء شراباً قطربليا او عكبريا، فيغمس لحيته فيه، بل ينقعها فيه نقعا، حتى تشرب اكثره، ويرش منه بعضهم على بعض، ويرقصون اجمعهم... فاذا اصبحوا عادوا عادتهم من الترنم والتوقر والتحفظ بابهة القضاة وحشمة المشايخ الكبراء)).

وفي سنة 423هـ حضر قاضي من قضاة بغداد الى دار كاتب الخليفة وكان لا يشرب إلا قارصا (نوع من انواع الخمر)، فارسل الكاتب غلامه إلى دكان اسحاق الواسطي (بائع خمر مسيحي)، واحضر خماسية من الدكان، على رأسها قاغدا وختماً مكتوب عليه: ((قارص من دكان اسحاق الواسطي))⁽¹¹⁾، فشرب القاضي منه فسأل عن الشراب فقيل له قارص، فقال: لا بل والله الخالص، ثم تئى وتلث، فكان الغلام كلما اتاه القدر سألته عنه، فشرب القاضي ستة انواع من الخمر، حتى تبطّح في المجلس ولفّ في طيلسانه وحمل الى داره⁽¹²⁾.

(1) ابن المعتز، ديوان ابن المعتز، 64/2.

(2) احسن التقاسيم، 200.

(3) المقرئ، الخطط المقرئية، 491 / 1.

(4) متر، الحضارة الاسلامية، 238 / 2.

(5) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 256/2.

(6) مسكويه، تجارب الامم، 424 / 5؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 256 / 2.

(7) متر، الحضارة الاسلامية، 239/2.

(8) المسعودي، مروج الذهب، 300 / 3.

(9) التنوخي، الفرج بعد الشدة، 11/2.

(10) بتيمة الدهر، 106 / 2.

(11) الحموي، معجم الادباء الزجاجي، 260 / 5.

(12) المصدر نفسه.

وقد وضعت ضوابط واصول لشرب الخمر يجب مراعاتها في مجالس الشرب، ومن هذه الضوابط فانه يكره جلوس اثنين فقط بمجلس الشرب، اذ الاثنين فقط في المجلس يسمى المجلس بـ: (المنشأ)، والمنشأ طولة لا يجلس عليها اكثر من اثنين، وسبب كره المجلس المكون من اثنين يعود الى ان الخمرة اذا دبت براس احدهم ونام سيبقى الاخر دون انيس، او اذا قام احدهما لقضاء بعض حاجاته سيبقى الآخر وحيداً، اما المجلس المثالي للشرب فهو المتكون من ثلاثة الى خمسة اشخاص فقط، ويسمونه مجلساً تاماً⁽¹⁾، اما المجلس الذي يضم اكثر من خمسة فهو مجلساً فوضوياً صاخباً لا يؤدي الغرض المطلوب منه، ولم تقتصر مجالس الشرب على الرجال بل شاركهم النساء تلك المجالس، وتختار النساء ذواء اللياقة والمعرفة بالادب والشعر، ويتراوح عددهن بين الثلاثة والخمسة، كما قال ابو نؤاس⁽²⁾ بذلك شعراً:

ثلاثة في مجلسٍ طيبٍ
فإن تجاوزت الى سادس

وصاحب الدعوة والضارب
اتاك منهم شغب شاغب

وقال ابو نؤاس ايضا بهذا الخصوص:

فليدع مئاً خمسة
فدوين هذا وحشة

متحيزين ولا يزد
وفويقه سوق الأحد

ويبدو ان الغاية من تحديد هذا العدد هو ان يبقى المجلس محافظاً على هدوءه وانضباطه من الفوضى والصخب في الكلام وارتفاعه مما يؤدي الى الاخلال بالمجلس⁽³⁾.

ولأجل ان يكون المجلس اكثر راحة واكثر متعة فان ارض المجلس وقاعة الشرب ينثر عليها الزهور بالألوان الزاهية، ويلبس الندماء والجالسين تيجان واكليل وطاقيات من الورد والزهور كالياسمين، وفي ذلك قال احدهم يصف نداء مجلسه:

على ذا تاج ورد
وعلى ذا تاج نسرين⁽⁴⁾

وكان الندماء من الرجال والنساء يحيون بعضهم بعضاً بالورد، ولم يكن من الاستحسان ان يدفع بعضهم الى بعض وردة واحدة فقط، بل باقات من الورد، ولاتقول النساء الواحدة للآخرى هذه وردتك فهو من اكبر العيوب ويعد ذلك من كلام العوام عندهم⁽⁵⁾، ومن مستلزمات الشرب الغناء والرقص، وكانت الموسيقى في اغلب الاحيان اربع هي: الغنج، والعود، والطنبور، والمزمار⁽⁶⁾، وكانت الجوارى يغنين من وراء ستار وحجاب، الآ في حالة المبالغة باكرام الضيف فان المغنيات يغنين دون ستار، وكلما كثر عددهن كلما كانت الابهة والبذخ والترف ابلغ للسامع والناظر، اذ ان علي بن الفرات في وزارته الأولى حدود 300هـ، خلا للشرب، وحضر جماعة من كتابه واصحابه، وحضر من المغنيات بين يديه من وراء الستائر ما لا يحصى من الكثرة⁽⁷⁾.

4 - الملابس.

تأثر المجتمع في العصر العباسي من ناحية الملبس بالتراث الفارسي اذ ادخلت انواع من الملابس التي كانت تلبس من قبل الفرس، ففي عهد المنصور ادخل تعديلاً على غطاء الرأس، فبعد ان كانت العمامة هي اللباس المعتاد للرأس، امر المنصور بلبس القلانص الطوال السوداء (وهي لباس مخروطي الشكل) وكانت مفرطة بالطول، اذ انه سنة 153هـ خرج الى مجلسه لابساً درعا وقلنسوه، وأمر ان يعتّموا فوق القلانص بعمامة صغيرة، وان يعلقوا السيوف في اوساطهم بعد ان كانت تعلق على المناكب، وامر ان يلبس السواد شعار العباسيين بحيث يغطي كل لباس تحته، وقد انتقد ابو دلامة الشاعر المعروف ذلك بالقول:

وكنا تُرَجِّي من إمامٍ زيادةٍ
فزاد الامام المصطفى في القلانص

تراها على هام الرجال كأنها
دنان يهودٍ جُلِّلت بالبرانس⁽⁸⁾

وتأثرت العمامة كالمعتاد بتقليد ارباب الدولة من الخلفاء والامراء ونسائهم وجواربيهم، اذ ان القلانص ظلت تتارجح بين التطويل والتقصير، وبين الالغاء والاعتماد، ففي ايام هارون الغي لبس القلانص بأمر منه، وارجع لبس العمامة، ولكن ارجع المعتصم لبس القلانص الطوال، وقصرها المستعين، الا ان العمامة ظلت لباس

(1) متر، الحضارة الاسلامية، 242/2.

(2) ديوان ابو نؤاس، 356، 358.

(3) متر، الحضارة الإسلامية، 242/2.

(4) المرجع نفسه.

(5) الثعالي، تيممة الدهر، 40/2.

(6) ابن المعتز، ديوان ابن المعتز، 111/2.

(7) الصابي، الوزراء، 193.

(8) متر، الحضارة الاسلامية، 225/2 - 226.

الرأس⁽¹⁾، وأمر القاضي ابو يوسف سنة 182 هـ ان تكون القلائس الطويلة السوداء اللباس الرسمي للقضاة⁽²⁾، وظل ذلك التقليد سائدا ومعتمداً مدة طويلة من الزمن، اذ ذكر ابن الجوزي⁽³⁾ في حوادث سنة 437 هـ، ان قاضي القضاة حضر مجلس الخليفة وعليه الطيلسان.

اما لباس البدن للطبقة الراقية خلال العصر العباسي، فقد كان سرواً فضفاضاً، وقميصاً ودراسة وسترة وقباء، وكان اللون الابيض هو الغالب على الملابس خاصة غلية القوم، فكان يعد انتقاصاً لمن يلبس الملابس الملونة من الرجال، ماعدا النساء والجواري والخدم والقيان النبطيات⁽⁴⁾، ويبدو ان تقليد العامة للخاصة كان له اثر كبير في تحديد نوع ملابس النساء من الطبقة العامة، اذ اتخذت نساء الخلفاء والامراء البرنس لباساً للرأس، وكان يحلى بالذهب والاحجار الكريمة، وهو من ابتداء غليّة بنت المهدي اخت هارون، كما ادخلت زبيدة زوجة هارون اضافات على لباس المرأة منها اتخاذ المناطق (مفردها نطاق) والنعال المرصعة بالجواهر، ولبست النساء الخلاخل بالارجل والاساور بالمعاصم⁽⁵⁾.

بقيت التغييرات على الملابس وموضاتها تتغير بحسب الزمان، والعامة تقلد الخاصة بذلك قدر المستطاع لا سيما الميسورين من العامة، فبعد ان كانت الأكمام ضيقة، أمر المستعين بتوسيعها حتى بلغت سعة الأكمام ثلاثة اشبار، حتى أصبحت تخاط داخل تلك الأكمام الجيوب لحفظ الكثير من الحاجيات، كالدنانير، وكتب المراسلات حتى كان المهندس يضع فيها ميله، والصيرفي يضع بداخل جيوبها رقاعه، والخياط يجعل فيها الجلم (المقص) والقاضي يضع فيها كراسه الذي يقرأ منه بخطبة يوم الجمعة⁽⁶⁾، وصنعت الجوارب من الحرير والصوف والجلد وكانت تلبس من قبل الرجال والنساء، وكانوا يلبسون الاخفاف (واحد خف) الملونة باللون الاسود، اما ذات اللون الاحمر فيعد معيباً على الرجل لبسه، لكن لا يضر بالنسبة للنساء والجواري، ولبس الاعيان والاغنياء الحذاء الخارجي ويسمونه: (الجرموق)⁽⁷⁾.

اما في المواسم التي تكثر بها الامطار فكان الخلفاء والامراء وشاركهم العامة يلبسون لمن استطاع منهم لباساً خاصاً، سمي بـ: (الممطر)، ويصنع من القماش المشمع للوقاية من المطر، ويستورد من الصين، وهو باهض الثمن يلبسه كبار الدولة ومترفيها واغنياء العامة⁽⁸⁾.

اهتم ارباب الدولة ونسائهم وجواريهم بتطوير الموديلات بمرور الزمن حتى اصبح الكثير من الملابس التي تعتبر من العيب اقتنائها وارتدائها، مفضلة عندهم وعند نسائهم وجواريهم، فاللون الاسود والابيض هما اللونين المفضلين عند الرجال بالذات وغيرهما يعد ارتدائه معيباً، اصبح فيما بعد الرجال يلبسون الالوان المختلفة دون حرج فلبس الرجال الالوان الحمراء والصفراء والخضراء وغيرها، ويتضمخون ويتطيّبون⁽⁹⁾، تذكر المصادر ان ابا الحسن بن ابي عمر الشرايبي حاجب الخليفة المطيع لله والقاضي ابن ابي الشوارب وكان من جلة القضاة ويرجع نسبه الى الامويين عندما دخل الى دار الخلافة كان ينتعل خفا احمر⁽¹⁰⁾، وحددت ملابس بحسب الفصول، وكان الاهتمام بالتأنق والتجميل سبباً باستحداث صالونات التجميل، وفتح اماكن لتعليم المهتمين بوسائل التجميل، كما استعملوا معجون الاسنان، وفرقوا شعورهم من الوسط لإظهار الحاجبين والاذنين، وكانت العادة ان يلوي الغلمان والجواري شعر الاصداع على شكل حرف: (ن) او على شكل ذيل العقرب، مع تعدد قصات الشعر والتسريحات عند الفتيات والغلمان في القصور والدور، مع الملابس الزاهية المخاطة بموديلات تتماشى مع عظمة الابهة والبذخ والترف الذي عاشته تلك الطبقة المتسلطة والتمكنة من الغير⁽¹¹⁾.

(1) المسعودي، مروج الذهب، 4/ 57؛ متر، الحضارة الاسلامية، 2/ 225 - 226.

(2) ابن خلكان، وفيات الاعيان، 4/ 422، 429.

(3) المنتظم، 6/ 149، 8/ 127.

(4) متر، الحضارة الاسلامية، 2/ 228.

(5) حسن، تاريخ الاسلام، 3/ 445.

(6) متر، الحضارة الاسلامية، 2/ 231.

(7) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، 106، 109.

(8) المقدسي، احسن التقاسيم، 96.

(9) زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، 2/ 610 - 611.

(10) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5/ 316.

(11) الصايي، الوزراء، 195؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 7/ 255، 269.

الفصل الثاني: رسوم مجالس الخلفاء

1- الحجابة

تم استحداث هذه الوظيفة في العصر الأموي، وكان معاوية بن ابي سفيان أول خليفة استخدم رجلاً على الباب، ولقب الحجابة كان مخصصاً في الدولة لمن يحجب السلطان عن العامة ويغلق بابه دونهم، أو يفتحه لهم على قدره في مواقيته⁽¹⁾، ومن رسوم الحجابة التي أوجدها معاوية ان يُدخِل الحاحب الأشخاص الذين يتصفون بالحسب والنسب والكرم والفضائل الحميدة، وان يأذن لهم بالدخول على الخليفة⁽²⁾، وكذلك عليه معرفة هوية وشخصية من يطلب الإذن بالدخول على الخليفة، ويذكر الأصفهاني أن حاجب معاوية دخل عليه يعلمه أن الأنصار واقفون على الباب يطلبون الإذن بالدخول إلى مجلسه⁽³⁾، وكان الحاحب يؤخر دخول بعض الشخصيات الذين يحدد الخليفة أسماءهم⁽⁴⁾، وفي العصور العباسية كان اغلب الحجاب من الموالي والاعاجم الا انهم حازوا على ثقة الخلفاء بهم، ولهم منزلة رفيعة لديهم⁽⁵⁾، وعندما سيطر الاتراك على مقدرات الخلافة استأثروا بمنصب الحجابة ايضاً⁽⁶⁾ وقد تطورت الحجابة في العصر العباسي اذ ازداد عدد الحجاب بقدر عدد ابواب دار الخلافة التي كانت تشتمل بابا للخاصة وبابا للعامة واصبح للحجاب خلفاء ينوبون عنهم⁽⁷⁾، وقد ظهر منصب جديد هو حاجب الحاحب ويعني كبير الحجة واول من عني به بدرالخرشني الذي ولاه الخليفة المقتفي بالله عام 329هـ وكان يحظى بمنزلة كبيرة في دار الخلافة، اذ لم يسمح بالجلوس على كرسي الالحاحب الحجاب وامير الجيش⁽⁸⁾، وقد تعرضت الحجابة كإحدى رسوم دار الخلافة الى مشاركة العناصر المتغلبة للخليفة فقد اتخذ بعض المتنفذين حجاباً لهم ومنهم عضد الدولة وجلال الدولة⁽⁹⁾، وادى بعض الحجاب دوراً خطيراً وكبيراً في انهاء خلافة عدد من الخلفاء فلا ينسى الدور الخطير الذي قام به سعيد الحاحب بعد ان اوكل اليه الاتراك تصفية الخليفة المستعين بالله وانهاء خلافته وقتله وكذلك المؤامرة التي دبرها مؤنس الحاحب مع عبد الله بن المعتز التي كادت ان تؤدي بخلافة المقتدر⁽¹⁰⁾.

2- مجالس الخلفاء

أُتبعَت الخلافة العباسية في عصورها الأولى نهجاً جديداً، متمثلاً باتخاذ مكان جلوس الخليفة كونه من رسوم دار الخلافة⁽¹¹⁾.

وتصنف مجالس الخلفاء إلى نوعين: مجالس خاصة: نعني بها المجالس الخاصة بالخليفة وتعد عادة مع خاصته وربما تتخذ أشكال مجالس طرب وشعر وما إلى ذلك⁽¹²⁾، والمجالس العامة: وهي المجالس التي يشهدها العوام من الناس بحضور الخليفة أو من ينوب عنه⁽¹³⁾.

وكان من الرسوم أيضاً حفلات الاستقبال الرسمي التي تقام في القصر⁽¹⁴⁾، فكانت الجلسات الرسمية تقام عادة في قاعة خاصة أو في بهو في قصور الخلفاء العباسيين يعرف بالديوان⁽¹⁵⁾؛ وتكون على شكل قاعة محاطة بالأعمدة⁽¹⁶⁾.

ومكان جلوس الخليفة هو السرير أو الكرسي ويكون مرتفعاً عليه الأرائك⁽¹⁾، وتفرش عليه الفرش المرتفعة والتي بمجموعها تسمى سدة الخلافة، وكان يقف خلف سرير الخليفة مواليه والحرس والغلمان متقلدين سيوفهم⁽²⁾.

(1) ابن خلدون، المقدمة، 240/1؛ حسن، تاريخ الاسلام السياسي، 440/1.

(2) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 69/1.

(3) الاصفهاني، الاغانى، 48/16.

(4) المصدر نفسه، 133/6.

(5) الصابي، رسوم دار الخلافة، 85.

(6) الراوندي، راحة الصدور، 306.

(7) ابن الازرق، بدائع السلك في طبائع الملك، 208/2.

(8) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 272/3.

(9) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 361/9.

(10) مسكويه، تجارب الامم، 12/1.

(11) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 358/3؛ الجومرد، هارون الرشيد، 77/1.

(12) فهد، العامة في بغداد، 10-15.

(13) المرجع نفسه، 10-15.

(14) القلقشندي، صبح الاعشى، 498/3.

(15) المقرئ، الخطط المقرئية، 222/4.

(16) ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية، 131.

ويروى ايضاً عندما حج الخليفة هارون الرشيد، صنّع له مراحل؛ ففرشت له بالبسط؛ وأقيم له مجلس خاص داخل مظلة بالظلال والروايات الكثيفة⁽³⁾.

وفي سنة (193هـ) جلس الخليفة هارون الرشيد مجلساً أمام أعين الناس بطوس؛ وكان مجلسه مفروش بخز أسود استدارته اربع مئة ذراع؛ وفي اركان مجلسه اربع قباب مغطاة بخز اسود؛ اعمدتها سوداء وتحتة أحد عشر فراشاً خز اسود؛ مع الوسائد والمخاد⁽⁴⁾.

وجلس الخليفة المعتصم على السرير في شهر رمضان سنة 218هـ، بعد أن دخل بغداد، وكان سريره على صدر الإيوان الكبير من دار الخلافة وكانت فيه صورة العنقاء، وكان السرير من ذهبٍ مرصع بأنواع الجواهر⁽⁵⁾.

وتميز الخليفة ابو جعفر المنصور بعلمه وادبه الرفيع وروايته للاحاديث والشعر⁽⁶⁾، ومقدرته النقدية الشعرية الفذة، فيبين حسنه من رديئه⁽⁷⁾، ومن اشهر جلاسه عمرو بن عبيد⁽⁸⁾، والهيثم بن عدي⁽⁹⁾ وبلغت شدة اعتداده بالعلم واهله انه كان يتمنى لو انه كان صاحب مجلس علمي على ان يكون خليفة⁽¹⁰⁾، ولأدراكه قيمة المجالس العلمية، لذا كان ينصح اولاده بمجالسة العلماء⁽¹¹⁾.

من ناحيه أخرى، حرص الخلفاء العباسيون على استقدام العلماء الى قصورهم وبلاطاتهم، وحثوا اولياء عهودهم على ضروره التقرب منهم مثال على ذلك ما فعله الخليفة المنصور⁽¹²⁾، مع ابنه المهدي.

كان الرشيد يدعو كلاً من الكسائي والاصمعي الى مجلسه ويسألهم عن الشعر⁽¹³⁾، وكذا فعل المأمون مع الاصمعي لاهتمامه بالشعر، فكان يجله ويقدره، وتمتع هذا العالم بمنزلة عالية عنده⁽¹⁴⁾.

اما ابو نؤاس، فكان شاعراً ظريفاً، يجالس والخلفاء والشعراء، ويتخذ من دكان والده مجلساً يجتمع به مع الشعراء الاخرين⁽¹⁵⁾.

ويذكر عنه مناظراته الشعرية الذائعة الصيت مع الأصمعي في مجلس الفضل بن يحيى البرمكي⁽¹⁶⁾، ومن الطريف الإشارة الى ان أبا القاسم البصري (ت: 327هـ)، كان يقول الشعر في مخبزه، بحضور عدد كبير من الشعراء والناس⁽¹⁷⁾.

انسحب ترف مجالس الخلفاء العباسيين هذا، على مجالس وزرائهم ايضاً، فللوزير الفضل بن الربيع

مجلس كبير مفروش كله بفراش واحد⁽¹⁸⁾ ثمين جداً⁽¹⁹⁾، وتميز مجلس الوزير ابن الفرات بجمال هيأته وكثرة

(1) ابن خلدون، المقدمة، 260.

(2) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، 29، 161.

(3) ابن قتيبة، الامامة والسياسة المنسوب اليه، 207/2.

(4) الجهشيارى، الوزراء والكتاب، 273-274.

(5) ابن العمري، الانباء في تاريخ الخلفاء، 104؛ علي، مختصر تاريخ العرب، 377.

(6) ابن العمري، الانباء في تاريخ الخلفاء، 62.

(7) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 1/174.

(8) عمرو بن عبيد: ابو عثمان المتكلم الزاهد شيخ المعتزلة كان صديقاً للخليفة المنصور ت: 144هـ. ابن النديم، الفهرست، 23؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، 3/460-462.

(9) الهيثم بن عدي: ابو عبد الرحمن راوية للاخبار نقل من كلام العرب وعلومها واشعارها ولغاتها الكثير اختص بمجالسة المنصور، ت: 207هـ؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، 6/107-108.

(10) السمعاني، ادب الاملاء، 18-19.

(11) ابن الجوزي، المنتظم، 5/56.

(12) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 7/72.

(13) المصدر نفسه، 139-140.

(14) البيهقي، المحاسن، 2/139-140.

(15) المصدر نفسه، 163-217.

(16) المصدر نفسه.

(17) الحموي، معجم الادباء، 19/219.

(18) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 13/254-256؛ ابن الجوزي، المنتظم، 6/196.

(19) الحموي، معجم الادباء، 19/158؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، 5/236.

الطنافس والوسائد لتحقيق الراحة النفسية والجسدية لجلسائه، لا اعتقاده بانها من آيات التقدير والاحترام لهم⁽¹⁾، اما مجلس الوزير المهلبي، فكان مثلاً للمجالس الراقية، اذ كان ينشر فيه من الورود ما قيمته الف دينار، وتتوسطه بركة ماء جميلة⁽²⁾، وضمت مجالس الوزير صاحب بن عباد، فاخر آنية الذهب والفضة والزجاج والصيني والآلات الحسنة⁽³⁾.

وانسحب ذلك الاهتمام الى مجالس الامراء، اذ كان مجلس عضد الدولة عظيماً تزيينه ادوات الذهب والفضة وفيه انواع الفاكهة والرياحين⁽⁴⁾، وزينت بعض المجالس بالنبيل والقسي والقنا⁽⁵⁾، ويبدو ان الغرض منها هو اضفاء روح القوة العربية وتراثهم التليد على الحضور، فالعربي حريص على الافتخار بتراثه الحضاري والفكري.

بعد ان أحكمت العناصر الأجنبية المتنفذة سيطرتها على الخليفة وصل بهم الحال احيانا الى قطع الخطبة للخليفة وفي العاصمة نفسها ففي سنة 364هـ قطعت الخطبة للخليفة الطائع لله ثم أعيدت في السنة نفسها⁽⁶⁾، ففي عام 334هـ وطلب معز الدولة من الخليفة المطيع لله ان تضرب لهم الطبول في بغداد⁽⁷⁾، وبعد ان ازدادت الخلافة ضعفاً وقويت شوكة العناصر الاجنبية والقادة طلب احد القادة من بهاء الدولة ان يأذن له بقرع الطبول امام باب⁽⁸⁾، ومن المعروف انه لم تقرع الطبول في اوقات الصلوات بالعاصمة لغير الخليفة⁽⁹⁾، والمقصورة تفصل الخليفة عن الجماعة في الصلاة وسميت مقصورة لانها قصرت على الامام دون الناس⁽¹⁰⁾.

3 - مقابلة الخلفاء.

إن الدخول إلى مجلس الخليفة كان يراعى فيه المنزلة الاجتماعية من حيث علاقة الشخص بالأسرة الحاكمة فيؤذن لأفراد البيت العباسي قبل غيرهم وقد وضع الخلفاء العباسيون ضوابط للادخول عليهم، اذ يأتي دخول ولي العهد بالمرتبة الأولى ويأتي كبار أفراد البيت العباسي من بعده⁽¹¹⁾ ولا يجوز الدخول على الخليفة بسلاح وعلى الحجاب وخلفائهم منع المسلمين من الدخول⁽¹²⁾، ووجب على الداخل ان يلقي التحية بعبارة (السلام عليك) وهي دلالة على الاستئذان فأما ان يؤذن له بالكلام واما ان ينصرف⁽¹³⁾ وكان لمجلس الخليفة اداب خاصة في كيفية تبادل الحديث معه⁽¹⁴⁾، وصارت تلك الاداب ملزمة لكل من يحضر مجلس الخليفة منها عدم البدء بالحديث وان لا يحرك احد منهم شفته مبتدئاً⁽¹⁵⁾، ومن حق الخليفة أن لا يكلمه احد من الندماء مبتدئاً أو سائلاً لحاجة حتى يكون هو المبتدئ⁽¹⁶⁾، ولا يجوز التكلم بصوت مرتفع بحضرة الخليفة إلا بقدر السماع وبعد خفض الأصوات بحضرة الخليفة تجيلاً له⁽¹⁷⁾، ومن دلائل تعظيم الخليفة عدم مقاطعته إذا تحدث، وان يحسن الاستماع إليه وان يصرف من حضر فكره وذهنه نحوه حتى وان عرف الحديث⁽¹⁸⁾.

4- مواكب الخلفاء

(1) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، 194 .

(2) الحموي، معجم الادباء، 138/9 – 143. ومع ان في هذا الرقم مبالغة كبيرة لكنها مع هذا توضح مدى الاهتمام بزيارة المجالس وتوفير اقصى مظاهر الراحة النفسية والبدنية لجلسائها.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، 180 – 176/7.

(4) الحموي، معجم الادباء، 103 – 102/17.

(5) الجاحظ، البيان والتبيين، 28/3 .

(6) السيوطي، تاريخ الخلفاء، 406.

(7) الصابي، رسوم دار الخلافة، 137.

(8) ابن شجاع، ذيل تجارب الامم، 167.

(9) الصابي، رسوم دار الخلافة، 136.

(10) ابن خلدون، المقدمة، 267.

(11) ابن منظور، لسان العرب، 99/3.

(12) الصابي، رسوم دار الخلافة، 85.

(13) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 111-106/2.

(14) الجاحظ، التاج، 49؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، 459/2.

(15) الجاحظ، التاج، 112.

(16) الجاحظ، التاج، 50.

(17) الماوردي، ادب الدنيا والدين، 22.

(18) الجاحظ، التاج، 53، 113؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، 46/2.

قال الجوهرى(1): ((الموكبُ بابهٌ من السير والموكبُ: القوم الرُكوب على الابل للزينة، وكذلك جماعة الفرسان، وقد أوكب البعير، إذا لزم الموكب، وتقول: واكبت القوم، اذا ركبت معهم)). أما ابن منظور (2) فقد قال: ((الموكبُ: الجماعةُ من الناس رُكباً ومشاةً)).

أما المعنى الاصطلاحي لكلمة موكب، فقد أُنسج الموكب ليشمل اليوم الذي يجلس فيه الخليفة للناس مجلساً عاماً، فيوم الدار كان يسمى أيضاً يوم الموكب، إشارة الى موكب الخليفة، حين يركب الى هذه الدار (3). أما ما يتعلق بتهيأة أفراد الموكب فقد ذكر ابن خياط(4) أن الخليفة أبو العباس السفاح خرج في موكب رسمي وهو يشق طريقه سنة (132هـ)، وكان يمتطي برزون أشهب يحيطه من كل جانب حرسه الخاص مع عمه داود بن علي؛ وأخيه أبي جعفر المنصور؛ ولكون عمه كان متألقاً في ذلك الموكب ظن الناس انه هو الخليفة(5)؛ وقد ترجل عامة الناس في موكب الخليفة السفاح إحتراماً وتعظيماً له(6).

وكان يحيط بالخليفة العباسي المنصور حرسه الشخصي أثناء خروج الموكب في مقدمتهم أبناء أو أمراء البيت العباسي(7)؛ وهم على أتم الاستعداد للقتال وبكافة اسلحتهم وعدتهم أو بزتهم العسكرية القتالية(8). ولم تقتصر تهيئة العساكر أو الجند مؤسسة الخلافة أي حرسهم الشخصي؛ بل تعدى ذلك إلى حضور العوام من الناس؛ بدليل عندما حَجَّ الخليفة العباسي المنصور سنة 148هـ اخذ معه الجند وأمراء البيت العباسي والأموال وصناديد الرجال؛ يصاحبونه في موكب حجه العوام من الناس(9).

وصاحب مواكب الخيزران رجال مُعدين لخدمتها؛ فكانوا جلهم من الغلمان المزينة(10)؛ وكما نعلم هي أم لخيفتين الهادي والرشيدي؛ ووصف غلمانهم بأنهم على جانب كبير من الأناقة يصاحبهم الأعوان وصبية البرامكة ايضاً(11). وصاحب الخليفة هارون الرشيد في موكبه المتجه من بغداد إلى مكة المكرمة لاداء فريضة الحج عدد كبير من حرسه الخاص، مع وزراءه وقادة الدولة العسكريين والعلماء والفقهاء؛ وكانوا ملاصقين لموكب الخليفة(12).

وعندما توج المعتصم خليفة في (رمضان سنة 218هـ) جرى له احتفال مهيب، وخرج الناس في مواكب عامة، بأبهى صورة(13)، وتحشد عامة الناس من اهالي سامراء في موكب كبير لرؤية موكب الخليفة المعتصم بالله وهو يجر بابك الخرمي اسيراً إلى المدينة؛ فأصطف الناس في مواكب بدءاً من باب العامة والى قرية المطيرة: حيث ضربت مواكب الجند في صفين من الخيل والرجال المدججين بالسلاح؛ وانتشرت على جوانبهم الرايات والبنود نسقاً متصلاً على طول الطريق(14).

كان هناك موكب لاستعراض الجند وفيها يستعرض الخليفة كراديس الجند وهم بكامل أياقتهم وملابسهم العسكرية وأسلحتهم ويتفقد أحوالهم إذ يخرج بموكب مهيب يصحبه في موكبه هذا أهل بيته(15) وكبار رجال الدولة وقد ارتدوا عدة الحرب والسلاح(16) وهناك موكب الأعياد بعد صلاة الفجر في اليوم الأول من أيام العيد يخرج الخليفة بموكب مهيب بعد ارتدائه الزي الرسمي(17) ويرافقه في موكبه كبار رجال الدولة من الوزراء(1) والفقهاء

(1) الصحاح، 1/234-235.

(2) لسان العرب، 3/973 (مادة وكب).

(3) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 3/158.

(4) ابن خياط، تاريخ خليفة ابن خياط، 2/434؛ البلاذري، انساب الاشراف، 3/140.

(5) ابن خياط، تاريخ خليفة، 2/434؛ البلاذري، انساب الاشراف، 3/140.

(6) ابن اعثم الكوفي، كتاب الفتوح، 5/5.

(7) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 8/379.

(8) المصدر نفسه.

(9) ابن قتيبة، الامامة والسياسة المنسوب اليه، 2/181-195.

(10) المدور، حضارة الإسلام في دار السلام، 22.

(11) المسعودي، مروج الذهب، 2/237؛ الاصفهاني، كتاب الاغانى، 6/78.

(12) ابن قتيبة، الامامة والسياسة المنسوب اليه، 2/208.

(13) ابن العمري، الانباء في تاريخ الخلفاء، 104.

(14) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 9/52-53؛ المسعودي، مروج الذهب، 4/57.

(15) مسكويه، تجارب الامم، 1/59.

(16) الجاحظ، التاج، 80.

(17) مسكويه، تجارب الامم، 1/352.

والقضاة والعدول بعد أن يقف الجند بلباسهم⁽²⁾ أما مواكب استقبال الرسل والوفود فقد حظيت باهتمام كبير ومميز من قبل الخلافة وذلك لإظهارها أمام الخصم بمظهر يليق بهيبة الخلافة ولتكوين الانطباع الذي يظهر الانبهار والإعجاب والرغبة في قلوب الضيوف وهذا الموكب يصطف فيه الجند بكامل ملابسهم وأسلحتهم فيوصف موكب اعده الخليفة العباسي المقتدر بالله 305هـ⁽³⁾ عندما قدمت سفن الملك الرومي فقد وقف الجند على اختلاف صنوفهم بالثياب الحسنة مدججين بالسلاح ويقدر عددهم مائة وستين الف⁽⁴⁾، وكانت تصرف الأموال الطائلة على المواكب وترصد لها الأموال الخاصة بها من ضمن ميزانية الدولة⁽⁵⁾ وهناك آداب وشروط لمسيرة الخليفة في موكبه فلا يجوز التقرب من دابة الخليفة وينصح الجاحظ من يساير الخليفة أن يتوخى أن يكون رأس دابته بإزاء سرج دابة الخليفة⁽⁶⁾، ومن واجب الرائف ان يتفحص دواب كبار رجال الدولة الذين سوف يرافقون الخليفة في موكبه⁽⁷⁾، وتوجب على من وقع عليه الاختيار في مسيرة الخليفة ان يؤذن له من قبل الخليفة بالبدء بالمسيرة وإن أمسك عن الإيماء هذا لا يعني أنه لم يؤذن له⁽⁸⁾.

الفصل الثالث: وسائل التسلية والأعياد.

1- مجالس الطرب:

يبدو ان الغناء والموسيقى لم يكونا فناً معروفاً في أوقات المتعة واللهو فقط، بل كانا مظهرًا من مظاهر الاستعداد للحرب وإشاعة الحماس في نفوس المقاتلين وتلك مسألة عرفها العرب قبل الإسلام وعبر عهودهم التالية، الا ان الغناء والطرب كان قد وصل الى اعلى مستوياته - خلال العصور الاسلامية - في العصور العباسية، والغناء على انواع منه ما يسرّ ومنه ما يبكي وما يزيل العقل حتى يغشى على صاحبه، ومن خلال تشجيع خلفاء وأمرآء بني العباس للغناء والطرب والمغنين والمطربين، وربما زاول منهم الغناء مثل إبراهيم بن المهدي، مما ساعد على ظهور روح التنافس للنبوغ بهذا الفن، ومن ثم ظهور اسماء لمغنين ومغنيات اقترن اسمائهم بالخلفاء العباسيين وامرائهم مثل: مخارق الذي كان من اشهر المغنين والمطربين، وكان المتنزهات التي يرتاها الاغنياء ويؤمها اهل البذخ والترف من الامراء وعامة الناس، فكان يغني حتى يسحر ويسلب لب السامعين، وكان يحب مغنية شهيرة اسمها: ضياء، التي اعجبت به واحبته حبا شديداً، وتوسط يوماً دجلة بمركب لأهل البذخ واللهو وغنى فلم يبق احد الابكي، وكان غناؤه يُسرُّ من جماله كل قلب⁽⁹⁾، ومن المغنين ابراهيم بن الهدي، الذي غنى مرة في مجلس المأمون، وكان بذلك المجلس كاتباً من كتاب طاهر بن الحسين يكنى بـ: ابي زيد، وكان قد بعثه في بعض اموره، فطرب ابي زيد، فاخذ طرف ثوب ابراهيم وقبله، فنظر اليه المأمون كالمنكر لما فعل (لأن ابراهيم رشح للخلافة وخرج عليه)، فقال له ابو زيد: ما تنظر: اقبله والله ولو قتلت؛ فتبسم المأمون⁽¹⁰⁾، وفي ايام المعتز نزل عبيد الله بن طاهر عند الخليفة، فاسمعه غناء مغنياته سارية المغنية الشهيرة، ثم طاف به القصر واره اشياء كثيرة منها ان شاهد في ساحة اعدت للتسلي صراع فيل و اسد جمع بينهما بمكان واحد، وهما يتواثبان كل منهما على الاخر، وعندما سأل عن أي الاشياء اعجبه قال غناء سارية⁽¹¹⁾.

وكان خلفاء بني العباس وامرائهم يبعثون الى مختلف البلدان من يشتري لهم المغنيات، وحصل ان اشترى من بغداد جارية وصفت بانها غاية في الحسن والجمال، واهدت للمعز الفاطمي (368هـ)، بمصر فغنت له ولجلساءه فاطربتهم، ولم يزل غنائها يزيدهم طرباً حتى افرط الامير بالطرب من سماع غنائها، فقال لها تمنى ماشئت، فلك مناك، فقالت: ((اتمنى ان اغني في بغداد، فلم يجد الامير بدأً من الوفاء لها، وارسلها الى بغداد، وبقي ذكرا لها واجماً عليها))⁽¹²⁾.

ومن الملفت للنظر ان العديد من الامراء والمستمعين للغناء يطربون الى حدود فقدان السيطرة على تصفاتهم، فيلتهبون حتى يمزق احدهم ثيابه، ويضرب الحائط برأسه بقوة تألماً وانسجاماً مع كلام ولحن المغني، ومنهم من

(1) الصابي، رسوم دار الخلافة، 9.

(2) مسكويه، تجارب الامم، 353/1.

(3) الصابي، رسوم دار الخلافة، 11.

(4) مسكويه، تجارب الامم، 53/1؛ الصابي، رسوم دار الخلافة، 11.

(5) الصابي، رسوم دار الخلافة، 25.

(6) الجاحظ، التاج، 77، 80.

(7) المصدر نفسه، 78.

(8) ابن المقفع، رسائل البلغاء، 68.

(9) السيوطي، محاضرات الادباء، 443 - 444.

(10) طيفور، كتاب بغداد، 112.

(11) متز، الحضارة الاسلامية، 245/2.

(12) ابن الجوزي، المنتظم، 114.

كان يتمرغ ويتقلب على الارض ويهيج ويزيد هيجانه ويعضُّ على يده واصابعه حتى يكاد ياكها، ويركل رجليه بالارض والحائط، ويلطم وجهه وجبهته، ويرمي بما عنده بجعبته من اموال للمغنين والراقصات متباهياً امام الحضور حتى يستنفد ما عنده من مال، فيقترض من اصحابه لإكمال نشوته بنثر المال من العين والورق، حتى افتقر عدداً كبيراً من الامراء والميسورين نتيجة هذا العمل⁽¹⁾.

2- تربية الخيول

استخدم العرب الحيوانات المعروفة للتنقل والتجارة واستخدموها في الحروب، واستخدموا الحمير للركوب والتنقل⁽²⁾ ومن باب الاهتمام بتربية الخيول والعناية بها استعمل الخلفاء العباسيين الخيول الباهضة الأثمان، ولاسيما الأمراء وما يلحق بهم، كما استعمل أرباب الأقاليم من القضاة البغال النفيسة المساوية في الأثمان لمسومات الخيول، بلجم وثقال وسروج مدهونة محلاة بشيء من الفضة ويجعلون صوب السرج⁽³⁾ اهتم العرب قبل الإسلام بالخيول وتربيتها ومعالجة أمراضها وأنسابها حتى ان بعضاً منهم ألف بأنسابها وصفاتها الكتب والمصنفات مثل ابن الكلبي وغيره وارتبط بالخيول وتربيتها نظام الفروسية الذي عرفه العرب قبل الإسلام⁽⁴⁾ وإذا كانت تربية الخيول والاهتمام بها عند الخلفاء ما تشير إلى حاجتهم ومنافعهم فيها والى تمثلهم بنظام الفروسية وغرس قيمته التي توارثتها العرب عبر العصور فان هذا الجانب يستدعي أيضاً التخصصية في ملابس الفرسان والخيالة التي نوهت عنها المصادر بأنها كانت تتمثل بالسراويل والسترة عوضاً عن الملابس الفضفاضة العادية⁽⁵⁾.

3- اللعب بالكرة والصولجان والألعاب الأخرى:

عرفت العرب هذه الرياضة بأسماء متعددة⁽⁶⁾ منها الطولجة والصولجان والطشخان والجوكان⁽⁷⁾، وهي ضرب الكرة من على ظهر الخيل وتضع الكرة من مادة مرنة كالفلين ونحوه وتلقي في ارض الميدان فيتسابق الفرسان في التقافها⁽⁸⁾ يظهر أن الأعياد والمناسبات هي أكثر الأوقات فرصة لمزاولة هذه اللعبة، وكانوا يتوجهون الى الميدان الأخضر بعد صلاة العيد حيث تضرب لهم خيمة لمباشرة لعبة الكرة والصولجان⁽⁹⁾ ومن الألعاب الأخرى التي مارسها الخلفاء الشطرنج⁽¹⁰⁾ التي تعرفها العرب منذ وقت طويل وازدادت سعة مساحتها في عموم الدولة العربية الإسلامية⁽¹¹⁾.

ولهذه اللعبة ضوابط يجب ان لا يخل بها اللاعب، ففي سنة 263هـ دخل الوزير ابو الحسن بن يحيى بن خاقان ميدان الصولجان في داره فصدمه خادمه الذي يلعب معه فسقط من اعلى فرسه ومات من ساعته⁽¹²⁾.
ومن الضوابط الواجب مراعاتها اثناء اللعب تفادياً للضرر هي:

- 1 - عدم استخدام السوط.
 - 2 - عدم ضرب الكرة تحت قدم الدابة.
 - 3 - ان لا يضرب صولجانه في الأرض فيؤدي الى كسره او ضرب قوائم دابته.
 - 4 - الانتباه لمن معه من اللاعبين كي لا يؤذيهم.
 - 5 - ان يحذر اللاعب الصدمة والسرعة التي قد تفاجئه.
 - 6 - عدم الوصول الى المتفرجين في حاشية الملعب الذي طوله 60 ذراعاً⁽¹³⁾.
- ولعب الخلفاء والامراء بألعاب عديدة، واهتموا وشاهدوا ألعاب اخرى، فاهتموا بمشاهدة المصارعة بين شخصين، او جر الحبل، ولعبوا لعبة النشابك بالأيدي، وليّ الاذرع، والملاكمة، والتسابق بالسباحة في دجلة، وربما سبح الكثير منهم عن قيام او على الرأس⁽¹⁴⁾.

(1) متر، الحضارة الاسلامية، 145/2.

(2) المصدر نفسه، 22/5.

(3) القلقشندي، صبح الاعشى، 42/4.

(4) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 14/6 - 15.

(5) علي، تاريخ العرب، 171 - 172.

(6) طلس، الحياة الاجتماعية، 218.

(7) القلقشندي، صبح الاعشى، 458/5؛ المقرئ، السلوك، 435/1.

(8) طلس، الحياة الاجتماعية، 218.

(9) ابن قاضي شهبه، الكواكب الدرية، 228.

(10) القلقشندي، صبح الاعشى، 141/2 - 142.

(11) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، 511/8.

(12) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 38/2.

(13) ابن قتيبة، عيون الاخبار، 166 - 167.

(14) المنتظم، ابن الجوزي، 573.

4- الصيد

اهتم الخلفاء والامراء في العصور العباسية والعصور السابقة لها بالصيد لما فيه من فوائد جمة وعديدة اذ وصف ابن الطقطقي⁽¹⁾ تلك الفوائد بالقول: ((القنص يشتمل على فوائد كثيرة جليلة النفع، منها، وهو الغرض الاشراف منه، تمرين العساكر على الركض والكر والفر والعطف، وتعويدهم على الفروسية، وادمانهم للرمي بالنشاب والضرب بالسيف والدبوس، واعتياد القتل والسفك وتقليل المبالاة باراقة الدماء وغصب النفوس، ومنها اختيار الخيول ومعرفة سبقها وصبرها على دوام الركض، ومنها حركة الصيد حركة رياضية تعين على الهضم وتحفظ صحة المزاج، ومنها فضل لحم الصيد على باقي اللحوم))، وكان الخروج إلى الصيد عند الخلفاء والحكام وذوي الشأن يتخصص بالتسلية والتدريب والمهارة وكان مرحلتين تنضمها عادات وتقاليد خاصة به المرحلة الأولى: وتتعلق بصيد الطير وتبدأ بإطلاق الطيور التي يصطحبونها في الهواء يرمي لها الحب لتهبط عليه في حين شكل الصيادون من الأمراء حلقة يحيط بها بتلك الطيور وهي تلتقط الحب فيذعرونها بضرب الطبول وما أن تحلق بطيرانها حتى يترصدها الأمراء لاصطيادها⁽²⁾، وبما يتعلق بالصيد بالطير فقد ذكر ابن الطقطقي⁽³⁾ بانه حدث رجل من اهل بغداد قال: ((تصيدنا بين يدي السلطان ... فطار ثلاث كراكي [واحد كراكي] على سمت مستقيم، فاطلقنا شاهينا فعلا وانحط على الاعلى من الكراكي فطمه فوق وقع على الثاني فكسره ثم وقعا كلاهما على الثالث فكسراه ووقعت الثلاثة بين يدي السلطان، قال فتعجبت من ذلك غاية التعجب وخلص علينا جميعا))، واهتم الخلفاء والامراء بما يسمى بـ: (البازيرية) وهم المربين لطيور البازي والمستخدم بالصيد فاقطعواهم الاقطاعات وبدلوا لهم الاموال والهبات وسهلوا عليهم حوائجهم، واهتم الخلفاء والامراء بكلاب الصيد فكان السلطان السلجوقي مسعود يلبس كلبه الجلال الاطلس الموشاة ويسورها بالاساور، وكان يقلل في بعض الوقت الالتفات الى امين الدولة ابن التلميذ الطيب النصراني، وكان ادبيا ظريفا فقال:

من كان يلبس كلبه وشيا ويقنع لي بجلدي
فالكلب خير عنده مني وخير منه عندي⁽⁴⁾

وإذا ما انتهت هذه المرحلة من المران والتدريب يتوجهون إلى المرحلة الثانية: المتصلة بصيد واقتناص الوحوش عندها يشكل السلطان وأعوانه من العساكر حلقة تحيط بالساحة التي تنتشر بها الوحوش ويحاولون إغلاقها لتكون انواع الوحوش المختلفة ضمن هذه الحلقة مذعورة وفي هذه الأثناء يطلق السلطان وأعوانه الجوارح لإشاعة الذعر بين الوحوش وهي في حالة من الرعب والخوف فيستأنس الصيادون بمنظرها المثير مما يسهل الصيد للسلطان ولمرافقيه الأمراء لإتمام صيدهم⁽⁵⁾.

وفي سنة 331هـ خرج الخليفة المتقي الى الشمامسية قرب بغداد لصيد السباع، وكانت تكثر الاسود في المناطق القريبة من نهر دجلة، وكانت قصص صيد الاسود والسباع تأخذ مساحة كبيرة من احاديث التسلية، حتى اذا تاخر احدا في الليل يتبادر الى ذهن اهله واصحابه انه قد اكلته السباع⁽⁶⁾، وفي عهد الناصر لدين الله ضربت حلقة صيد فوق فيها انسان قصير جداً كصغير يكون عمره خمس سنين قال: ((... فامسكوه واحضروه بين يدي الناصر، فاستنطقوه فلم ينطق، فاحضروا له طعام فلم يأكل، والماء فلم يشرب، فاجتهدوا معه ... فقال له تريد نطلقك فحرك راسه يعني نعم، قال فنقدم الناصر باطلاقه فلما أطلق عدا عدو الغزال ثم دخل البرية))⁽⁷⁾.

ومن لطائف القول ما ذكره ابن الطقطقي⁽⁸⁾ عن مجاهد الدين آبيك قال: ((خرجنا مرة في خدمة المعتصم [ربما يقصد المعتصم بحسب زمان وسياق الرواية وراويها] الى الصيد، وضر بنا حلقة قريبا من الجلهمة، وهي قرية قريبة من بغداد والحلة ثم تضايقة الحلقة حتى صار الفارس منّا يصيد الحيوان بيده، فخرج من جملة حُمُر الوحش حمار كبير الجثة عليه وسم فقرأناه واذا هو وسم المعتصم قال: فلما رآه المعتصم وسمه بوسمه واطلقه، وكان بين المعتصم والمعتصم حدود خمسمائة سنة)).

5 - الأعياد الإسلامية:

احتفلت الدولة العربية الاسلامية بالاعیاد التي اختصت بها الامة الاسلامية دون غيرها وأشهرها عيدي الاضحى والفطر، اذ تحدثت بهما احتفالات رسمية وشعبية، يعبر الناس بهما عن فرحهم فيهما، وتزيّن الاسواق

(1) الفخري في الآداب السلطانية، 54.

(2) القلقشندي، صبح الاعشى، 167/11، 169، 171.

(3) الفخري في الآداب السلطانية، 54.

(4) المصدر نفسه، 54، 56.

(5) القلقشندي، صبح الاعشى، 167/11، 169، 171.

(6) التبوخي، الفرج بعد الشدة، 2/75؛ آدم متر، الحضارة الاسلامية، 258/2.

(7) الفخري في الآداب السلطانية، 54.

(8) المصدر نفسه، 56.

والمحلات و تزدهم الطرقات ليل نهار، وتحمل القناديل المضاءة، ويظهر الناس باجمل ثيابهم ويلبسون الطيالسة والقلانسبدلا من العمائم، ويصنعون افضل انواع الحلوى، وتتفنن مطابخ الخلفاء وارباب الدولة بصناعة تماثيل من السكر والحلوى الى جانب المآدب الفاخرة والاسمطة التي تعدّ من قبل الخلفاء والامراء، لكي يبادر اليها المصلين بعد صلاة العيد للاستئناس باكلها، وفي عيد الفطر سنة 308هـ خرج صاحب الشرطة يحمل معه حلوى على شكل قصور وتماثيل من السكر ووزعها على الناس في الشوارع والطرقات، كما اجزل العطاء من قبل الخلفاء والامراء للعامّة والخاصة بما يسمى باسم: (العيدية)⁽¹⁾، واحتفل العالم الاسلامي بمناسبة المولد النبوي الشريف، ففي سنة 300هـ، احتفل بالمولد النبوي ودعي الفقهاء والعلماء والزهاد من قبل الخلفاء وتم تكريمهم بهبات جزيلة⁽²⁾، وفي سنة 352هـ ولأول مرة عمل معز الدولة البويهني احتفالا بمناسبة عيد الغدير، فاطهرت الزينة بالبلد، وفتحت الاسواق حتى الصباح، وضربت الدبابدب والابواق وكان يوما مشهودا وتكرر في سنوات عديدة⁽³⁾.

6 - الأعياد غير الإسلامية:

ادى التسامح الديني الى حدوث اشتراك المسلمين في المناسبات المسيحية، اذ يعبر المسلمين عن فرحهم بمشاركة المسلمين اعيادهم، اذ شارك الخلفاء وارباب الدولة تلك الاعياد، اصف الى ذلك كان المسلمين يشاركون طلبا للراحة والتسلية، اذ ان عدد من ذوي الرغبات السلبية دور العبادة المسيحية لطلب اللذات حتى قيل ان عدد من الادييرة وصفت بانها: ((كانت مجتمع اهل البطالات ومقصد طلاب اللذات من البغداديين))⁽⁴⁾.

وذكر ابن المعتز⁽⁵⁾ زيارته مع رفاقه وندمائه لدير المطيرة وغيره من الادييرة فقال:

بدير المطيرة نقري المدام لدى القس لما اتيناه زورا

وحدث ان اتفقت اعياد المسلمين مع اعياد المسيحيين في يوم واحد، فذكر في حوادث سنة 239هـ انه اتفق

شعانين النصرى ويوم النيروز، وفي حوادث سنة 244هـ، اتفق عيد الاضحى والشعانين للنصرى وعيد اليهود في يوم واحد⁽⁶⁾، واكد ذلك الصنوبري⁽⁷⁾ الشاعر المشهور (ت: 334هـ)، ذكر اشتراك اعياد المسلمين والمسيح بقوله:

ويا عيد الشعانين	ويا فطر ويا اضحى
تغنيني فتغنيني	تحيني فتحيني
فيه من قرابين	وبالفصح وما يزين

وفي الاعياد غير الاسلامية التي يشترك بها المسلمين كانت الوصائف في دار الخلافة يظهرن متزينات ويحصلن على الهبات والاعطيات من الخلفاء والامراء، ففي ايام الخليفة المأمون العباسي تحديدا سنة 197هـ، دخل المغني احمد بن صدقة على المأمون وكان ذلك اليوم عيد شعانين، وكان بين يدي الخليفة عشرون وصيفة روميّات مزنرات قد تزّين بالديباج الرومي وعلقن في اعناقهن الصلبان المصنوعة من الذهب، فنظم المأمون فيهن ابياتا وطلب من المغني ان يغنيها⁽⁸⁾، واحتفل الخلفاء والامراء باعياد النيروز والمهرجان ووزعوا الهبات والعطايا المصنوعة من العنبر والورد الاحمر على الناس، وبذلت موائد الطعام للناس، والقيت القصائد بمحضر الخلفاء والامراء ابتهاجا وطمعا في الحصول على الهبات، وقد اهديت قصيدة للخليفة الراضي بمناسبة عيد النيروز كان مطلعها:

بارك الله للامير ابو العباس خير الملوك في النيروز⁽⁹⁾

من خلال ما تقدم اتضح مدى تفاعل الخلفاء والامراء من ارباب الدولة وكبارها مع الاعياد الغير اسلامية، والمشاركة مع المسيحيين باعيادهم، والابتهاج بتلك الاعياد، وبذل الطعام والهدايا والهبات والتزين والقاء القصائد وغيرها من فعاليات التعبير عن الانسجام مع اهل الذمة في اعيادهم، وهذا يعني الحرية الدينية لاهل الذمة في الدولة العربية الاسلامية والسماح لهم بممارسة طقوسهم، ومشاركة كبار الدولة لهم في الاحتفال باعيادهم.

7 - الزواج والختان

(1) متر، الحضارة الاسلامية، 2/ 231.

(2) المرجع نفسه، 2/ 279 - 299.

(3) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 8/ 550، 589.

(4) متر، الحضارة الاسلامية، 2/ 283.

(5) ديوان ابن المعتز، 12، 50، 211.

(6) المقدسي، احسن التقاسيم، 182 - 183.

(7) ديوان الصنوبري، 490.

(8) الاصبهاني، الاغاني، 19/ 138.

(9) الصولي، اخبار الراضي، 15، 32.

ومن جملة المناسبات التي اهتم بها خلفاء وامراء بني العباس هي الزواج والختان، وهما مناسبتين اهتم بهما العامة والخاصة من الناس اهتماما كبيرا، الا ان طقوسهما والاحتفال بهما عند الخاصة اختلف كثيرا من ناحية البذخ والترف والانفاق والهبات والعطايا، اذ عندما تقام هذه الحفلات يعد لها اعدادا مبالغا فيه كل المبالغة من قبل الخلفاء وامرائهم، فتبذل الاموال وتوزع الحلوى ويغني المغنين وترقص الجوارى، وتقطع الاقطاعات، الى جانب نثر الذهب والدر والقطع الذهبية والاحجار الكريمة على الحاضرين، حتى كان كل واحد منهم ممن يقيم هكذا مناسبات يريد ان تكون مناسبته مميزة بالانفاق والتعبير عن الفرح والابتهاج من قبل الاخرى وارضائهم بكل مايمكن تقديمه من الغالي والنفيس⁽¹⁾.

وتعد حفلات الزفاف من اشهر الحفلات في قصور الخلافة، اذ يقال ان زفاف هارون بلغت نفقاته (خمسين الف الف درهم)، ونفقات زفاف المامون بلغت (سبعين الف الف درهم)⁽²⁾، ووصف ابن الطقطقي⁽³⁾ زواج المامون وصفا يدل على تعبير حقيقي للاسراف من قبل ارباب الدولة فقال: ((استوزره المامون [الحسن بن سهل] بعد اخيه الفضل بن سهل ومال اليه وتلافاه جبرا لمصابه بقتل اخيه، وتزوج ابنته بوران، وانحدر في اهله واصحابه وعساكره وامرائه الى فم الصلح بواسطة، فقام الحسن بن سهل في انزالهم قياما عظيما، وبذل من الاموال ونثر من الدرر ما يفوت حد الكثرة، حتى انه عمل بطاطيخ من عنبر وجعل في وسط كل واحدة منها رقعة بضیعة من ضياعه ونثرها، فمن وقعت في يده بطيخة منها فتحها وتسلم الضیعة التي فيها. وكانت دعوة عظيمة تتجاوز حد التجمل والكثرة، حتى ان المامون نسبه في ذلك الى السرف. وقالوا جملة ما اخرج على دعوة فم الصلح خمسون الف الف درهم. وكان الحسن بن سهل قد فرش للمامون حصيرا منسوجا من الذهب ونثر عليه الف لؤلؤة من كبار اللؤلؤ، فلما رآه المامون قال: قاتل الله ابا نواس كانه شاهد مجلسنا هذا حيث يقول:

كأن صغرى وكبرى من فقاقتها
حصباء در على ارض من ذهب))

من خلال النص السابق يمكن ان نحكم بان ارباب الدولة كانوا يعيشون في وادٍ وعامة الناس في وادٍ آخر، اذ ان هكذا وصف لمناسبة زواج الخليفة من بوران يعطينا مدلولاً واضحاً على المستوى الذي وصل اليه الوزراء والحكام من الرفاه والنعيم والعبث بمقدرات الدولة الاسلامية مع اعداد كبيرة من الناس تعيش بذلك العصر بفقر مدقع.

وحصل سنة 310هـ ان قبض الخليفة المقتدر على ام موسى القهرمانه، لانها زوجت ابنة اختها من امير من امراء البيت العباسي كان مرشحا للخلافة، وكانت قد اكرتت من نثار القطع النقدية وغيرها، واكثرت من الدعوات ، حتى انفقت اموالاً طائلة⁽⁴⁾.

وكان العامة يحاولون تقليد اسيادهم ارباب الدولة لاطهار الغنى امام الاخرين مع عسر حالهم فكانوا يستاجرون بمثل هذه المناسبات الزينة والالات والفرش وغيرها⁽⁵⁾.

اما الختان فكان يستحب ان يكون جماعيا، كان يختن لعدد من الاخوة وابناء الاخ او الاسرة، ولعل ما جرى في ختان عبد الله بن المعتز بن المتوكل من انفاق كان مقداره 86 الف درهم، وهو ما يفوق حد التصور بحسب رأي ناقل الرواية⁽⁶⁾، وفي سنة 302هـ، ختن المقتدر لخمسة من اولاده ونثر عليهم خمسة آلاف دينار ومائة الف درهم، وبلغت نفقة ذلك الختان 60 الف دينار، وختن احد ارباب الدولة مجموعة من ابنا اسرته فطبخ طعاما وصف بانها لا يحد ذكره، ونحر الف راس غنم، وثلاثة آلاف دجاجة، واقامت مظاهر الفرح والابتهاج⁽⁷⁾، وفي عام 644 هـ كان ختان الامير ابي العباس احمد وابي الفضل عبد الرحمن ابني الخليفة المستعصم بالله وعدد من الامراء واولاد كبار القادة⁽⁸⁾، وفي سنة 650 هـ كان ختان الامير ابي المناقب المبارك ابن الخليفة المستعصم وختن معه عدد من الامراء وكبار القادة وكانت تصرف مبالغ طائلة بهذه المناسبة، اذ توزع الخلع والهدايا فيذكر الذهبي ان ماانفق على ختان اولاد الخليفة المستعصم بالله عام 644 هـ حوالي مائة الف دينار وخمسمائة راس⁽⁹⁾.

8 - العطلة الأسبوعية.

(1) متر، الحضارة الاسلامية، 296/2.

(2) المرجع نفسه، 294 نقلا عن الديارات مخطوط ليدن، 66 .

(3) الفخري في الآداب السلطانية، 222.

(4) متر، الحضارة الاسلامية، 295/2.

(5) الاصفهاني، الاغانى، 5/ 119.

(6) الفخري في الآداب السلطانية، 222.

(7) متر، الحضارة الاسلامية، 300/2.

(8) الغساني، المسجد المسبوك، 586.

(9) الذهبي، دول الاسلام، 113/2.

اعتادت الدولة الاسلامية على ان يكون يوم الجمعة هو يوم عطلة رسمية من العمل لمزاولة المسلمين عبادات يوم الجمعة لما لذلك اليوم من اهمية عظيمة عند المسلمين منذ حياة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله الى يومنا هذا، ولكن ايام الخلفاء العباسيين تحديدا ايام الخليفة هارون استحدث نظاما جديدا اذ جعل يوم الخميس اضافة ليوم الجمعة عطلة رسمية لكل موظفي الدولة، لما وصلت اليه الدولة الاسلامية من الرفاه والازدهار، فاراد ان يكون يوم الخميس استراحة ويوم الجمعة للعبادة، ولا ندري اذا كان الخلفاء من بعده قد استمروا على ذلك النظام ام لا؟ لكن ايام المقتدر جعل يوم الثلاثاء عطلة رسمية بالاصافة ليوم الجمعة، اذ منع من ان يفتح بهذين اليومين ديوان او يخرج شيء، اذ كان يوم الجمعة للصلاة ويوم الثلاثاء وسط الاسبوع لاستراحة الموظفين⁽¹⁾. ومن الملاحظ ان هذين اليوم كانا معتمدين كعطلة للكتاتيب، وذكر ان المقتدر كان يحب عطلة يوم الجمعة؛ لأن مؤدبه كان يصرفه فيه عن مكتبه، اما الخليفة الشاعر ابن المعتز⁽²⁾ فقد اشار الى ان يوم الثلاثاء هو يوم عطلة الكتاتيب بالقول:

لا تجعلوا الثلاثاءا لاجتماعكم ان الكتاتيب تخلو في الثلاثاء

وفي ايام الخليفة الراضي يبدو ان الامر سار على ذلك المنوال، اذ كان امير الامراء ابن رائق يقصد دار الخليفة كل جمعة وثلاثاء⁽³⁾، مما يدل على ان هذين اليومين كانا عطلة رسمية.

ومن المحتمل ان يكون سوق الثلاثاء الشهير في بغداد قد اقيم على اساس ان يوم الثلاثاء كان عطلة، فيؤمه الناس للتسوق وشراء الحاجات⁽⁴⁾.

النتائج

توصل البحث الى مجموعة من الاستنتاجات لعل أهمها:

- 1- خروج خلفاء بني العباس وأمرائهم عن التقليد السائد أيام النبي والخلفاء الراشدين في الكثير من المظاهر التي كان متعارفا عليها آنذاك، وإن كان الخروج عن تلك المظاهر منذ أيام الأمويين إلا ان العباسيين فاقوا بني أمية في هذا المجال.
- 2- عدّ العباسيون الكثير من مظاهر البذخ والترف بأنها مظهرا من مظاهر القوة والرفاهة الاقتصادية، لا سيما اهتمامهم ببناء القصور بشكل كبير واهتمامهم بالهبات والعطايا، الا ان تلك المظاهر في العصور العباسية التي تلت العصر العباسي الأول أصبحت ثقلا وعالة على اقتصاد الدولة ومقدراتها المالية، اذ مع التزدي الاقتصادي والاجتماعي والفكري، الا ان الخلفاء وأمرائهم وارباب دولتهم كانوا يسرفون الأموال واستمروا ببذخهم مع السلبيات التي حملتها تلك الظاهرة لاسيما التأثير على الواقع النفسي للرعية التي كانت تعيش حياة تقشف وفقر شديدين.
- 3- برز بشكل واضح وكبير جدا تدخل النساء من أمهات الخلفاء وأرباب الدولة وزوجاتهم وأخواتهم وقهرماناتهم وجواريهن بشكل كبير في الصلاحيات التي كان من المفترض ان تقتصر على أرباب الدولة من ذوي الصلاحيات والتصرف في شؤون الدولة، وصرن يتمتعن بصلاحيات واسعة ويتصرفن بمقدرات وممتلكات الدولة، ويتكرمن على الشعراء والمغنين بالأموال والهبات السخية، ويطوفن في شوارع وأزقة بغداد وغيرها بمواكب مهيبية.
- 4- حدوث تطور في الكثير من المظاهر التي كانت سائدة مثل طريقة تقديم الطعام ووسائل الدعوة الى مأدبة طعام او شراب، وظهور وظائف جديدة لم تكن موجودة في سابق عهد مثل مهنة (الشرابي)، وبروز طبقة من المغنين والقيان المغنيات، كذلك كان لأرباب الدولة حضور واضح في الأعياد الإسلامية وغير الإسلامية مع إعداد موائد طعام ترافقها هبات مالية جزيلة، أما ما يتعلق بحفلات الزواج والختان التي وصلت النفقات فيها حد الإسراف المبالغ فيه كما هو حال زفاف المأمون وبوران ابنة الحسن بن سهل، وعمل الأمراء وأرباب الدولة بل حتى عامة الناس على تقليد أسيادهم في كل مظهر من مظاهر البذخ والترف، بل حتى في الأزياء والملابس التي ربما تكون تكاليفها باهظة الثمن على العامة، إلا ان ذلك لم يحل دون التقليد من قبل عامة الناس خصوصا الطبقة الغنية.

(1) الصابي، الوزراء، 378

(2) ديوان ابن المعتز، 11/1

(3) الصولي، اخبار الراضي، 132

(4) مكّي، المدخل الى حضارة العصر العباسي، 238

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأولية

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني(ت:630هـ/1232م).
- الكامل في التاريخ، ط1، دار صادر، (بيروت - 1966م).
- ابن الأزرقي، ابو عبد الله (ت:896هـ).
- بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق علي سامي، (العراق - 1978).
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت:356هـ/966م)
- كتاب الاغاني، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، (القاهرة -1970-1974م).
- ابن اعثم الكوفي، أبو محمد أحمد (ت314هـ/926م)
- كتاب الفتوح، ط1، دار الندوة، (بيروت - 1975م).
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر(ت:279هـ/892م).
- أنساب الاشراف، تحقيق: عبد العزيز الدوري، المطبعة الكاثوليكية، (بيروت - 1978م).
- البيهقي، ابراهيم بن محمد(932هـ/320م).
- المحاسن والمساوي، تح، محمد ابو الفضل ابراهيم، (القاهرة -1961).
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف(ت:874هـ/1469م).
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط1، دار الكتب المصرية، (القاهرة - 1930م).
- التنوخي، أبو علي المحسن بن علي القاضي (ت:384هـ/994م).
- الفرج بعد الشدة، ط1، دار الطباعة المحمدية، (القاهرة - 1955م).
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت:429هـ/1037م).
- بيتمة الدهر، ط1، تح، محمد مفيد قميحة، (بيروت - 1983).
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت:255هـ/868م).
- البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط5، مطبعة المدني (القاهرة - 1968م).
- التاج في اخلاق الملوك، تحقيق، أحمد زكي باشا، المطبعة الاميرية، (القاهرة - 1914م).
- الجهشياري، محمد بن عبدوس (ت:331هـ/942م).
- الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا و ابراهيم الابياري، ط1، البابي الحلبي، (القاهرة - 1938م).
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت:597هـ/1200م).
- المنتظم في تاريخ الملوك والامم، ط1، دار المعارف، (حيدر آباد - 1938-1940م).
- الحموي، ياقوت بن عبد الله البغدادي (ت:626هـ/1228م).
- معجم الادياء المعروف بأرشاد الاريب إلى معرفة الاديب، نشره مرغليوث، ط2، (القاهرة - 1923م).
- معجم البلدان، ط1، دار صادر، (بيروت - 1966م).
- ابن خردادبة، ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله (300هـ/912م).
- المسالك والممالك، مطبعة بريل، (ليدن - 1889).
- الخطيب البغدادي، أبو بكر الحافظ أحمد بن علي(ت:463هـ/1070م).
- تاريخ بغداد، المكتبة السلفية، (المدينة المنورة - د.ت).
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت:808هـ/1405م).
- المقدمة، ط1، مطبعة المثنى، (بغداد - د.ت).
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت:681هـ/1282م).
- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق، أحسان عباس، دار الثقافة، (بيروت - 1970م).
- ابن خياط، خليفة العصفري(ت:240هـ/854م).
- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق، اكرم ضياء العمري، ط1، مطبعة الاداب، (النجف - 1967م).
- الذهبي، شمس الدين عبد الله بن احمد بن عثمان (ت:748هـ).
- دول الاسلام، ط2، حيدر اباد، (الدكن - د.ت)
- الراوندي، محمد بن علي بن سليمان.
- راحة الصدور واياة السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة ابراهيم امين الشواربي، (القاهرة - 1960)
- السمعاتي، ابو سعيد عبد الكريم(ت:562هـ/1166م)
- ادب الاملاء والاستملاء ، (ليدن - 1952).
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت:911هـ/1505م).
- تاريخ الخلفاء، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، ط3، مطبعة المدني، (القاهرة - 1964م).
- ابو شجاع، محمد بن الحسن الروذراوي (ت:488هـ).
- ذيل كتاب تجارب الامم، تصحيح، هـ.ف.امورود، مطبعة شركة التمدن، (القاهرة - 1969).
- الصابي، أبو الحسن هلال بن المحسن (ت:448هـ/1056م).
- رسوم دار الخلافة، تحقيق، ميخائيل عواد، مطبعة العاني، (بغداد - 1964م).
- الوزراء أو تحفة الامراء في تاريخ الوزراء، تحقيق، ميخائيل عواد، ط1، مطبعة العاني (بغداد - 1964م).
- الصنوبري، احمد بن محمد بن الحسن الضبي(ت:334هـ/946م).

- ديوان الصنوبري، تحقيق، احسان عباس، دار الثقافة، (بيروت - 1970).
- الصولي، ابو بكر محمد بن يحيى (ت: 335هـ/946م)
- اخبار الرازي والمتقي، ط2، (بيروت - 1979).
- الطبري، محمد بن جرير (310هـ/922م).
- تاريخ الرسل والملوك، ط3، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، (القاهرة - 1967م).
- ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (709هـ/1309م).
- الفخري في الاداب السلطانية، دار صادر، (بيروت - 1966م).
- ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن طاهر (ت: 280هـ/893م).
- بغداد في تاريخ الخلافة العباسية، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، مكتب نشر الثقافة، (دمشق - 1949م).
- ابن عبد ربه الاندلسي، أحمد بن محمد (ت: 328هـ/938م).
- العقد الفريد، شرح أحمد امين واحمد الزين و ابراهيم الابياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، (القاهرة - 1965م).
- ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت: 580هـ/1174م).
- الانباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق، قاسم السيد السامرائي، ط1، نشریات المعهد الهولندي للأثار المصرية والبحوث العربية، (ليدن - 1973م).
- الغزولي، علاء الدين علي بن عبد الله البهائي (ت: 518هـ/1412م)
- مطالع البدور في منازل السور، مطبعة ادارة الوطن، (القاهرة - 1888م).
- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت: 817هـ/1414م).
- القاموس المحيط، دار الفكر، (بيروت - د.ت).
- ابن قاضي شهبه، بدر الدين (ت: 724هـ).
- الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق: محمود زايد، (بيروت - 1960).
- ابن قتيبة، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت: 276هـ/889م)
- الامامة والسياسة المنسوب اليه، مطبعة مصطفى الحلبي، (مصر - 1937م).
- عيون الاخبار، مطبعة دار الكتب المصرية، (القاهرة - 1925م).
- القلقشندي، احمد بن علي (ت: 821هـ/1418م)
- صبح الاعشى في صناعة الانشا، مطبعة دار الكتب الملكية، (القاهرة - 1967م).
- ابن كثير، الحافظ عماد الدين ابي الفداء اسماعيل (ت: 774هـ/1372م).
- البداية والنهاية، ط1، مكتبة المعارف، (بيروت - د.ت).
- الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد (ت: 450هـ/1058م).
- ادب الدنيا والدين، ط1، دار اقرأ، (بيروت - 1981م).
- المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين (ت: 346هـ/957م).
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد ط2، المكتبة الاسلامية، (بيروت - 1948م).
- مسكويه، ابو علي احمد بن محمد بن يعقوب (ت: 421هـ/1030م).
- تجارب الامم وتعاقب الهمم، تحقيق، ام جي دي غويه، نسخة بالوافست، (ليدن - 1817م).
- ابن المعتز، ابو العباس عبد الله (ت: 296هـ/908م)
- ديوان ابن المعتز، شرح وتقديم ميشيل نعمان، الشركة اللبنانية للكتاب، (بيروت - 1969م).
- المقدسي، محمد بن احمد البشاري (ت: 375هـ/985م)
- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط2، (ليدن - 1909).
- المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت: 845هـ/1441م).
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة المثنى، (بغداد - د.ت).
- ابن المقفع، عبد الله (ت: 142هـ).
- رسائل البلغاء، عني بجمعها، محمد كرد علي، دار الكتب العربية الكبرى، (القاهرة - 1913).
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت: 711هـ/1311م).
- لسان العرب، (بيروت - 1970م).
- ابن النديم، ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب (ت: 385هـ/995م)
- الفهرست، تح، رضا تجدد، (بيروت - 1977).
- اليقوبي، احمد بن يعقوب (ت: 292هـ/904م)
- كتاب البلدان، ط3، المطبعة الحيدرية، (النجف - 1957م).
- تاريخ اليقوبي، تحقيق، محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، (النجف - 1964م).
- ثانياً: المراجع الحديثة
الجومرد، عبد الجبار.
- هارون الرشيد دراسة تاريخية واجتماعية وسياسية، مطبعة دار الكتب، (بيروت - 1956م).
- زيدان، جرجي.
- تاريخ التمدن الاسلامي، تعليق، حسين مؤنس، (القاهرة - 1958).
- عاشور، سعيد عبد الفتاح، وآخرون.
- دراسات في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية، دار السلاسل، ط2، (الكويت - 1986).

طلّس، محمد اسعد.

- الحياة الاجتماعية، مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد/ سنة 1951.

فهد، بدري محمد.

- العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري، مطبعة الإرشاد، (بغداد - 1967م).

ماجد، عبد المنعمز

- تأريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ط3، مكتبة الانكلو المصرية، (القاهرة -1973م).

متز، آدم. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله للعربية محمد عبد الهادي ابو ريده، اعد فهارسه، رفعت البدر اوي، ط4، مكتبة الخانجي، (القاهرة - 1967م).

مكي، د. محمد كاظم.

- المدخل الى حضارة العصر العباسي، دار الزهراء، (بيروت - 1999م).

وهيب، فاروق عباس.

- الحياة الاجتماعية في دمشق خلال العصر الاموي، رسالة ماجستير، كلية الاداب جامعة بغداد، (بغداد - 1986).